طارق عزيز

الصراع العراقي - الايراني

أسئلة ومناقشات

١٩٨١

هەواڵنامەی کتێب

الصـراع العـراقي ـ الإيراني

أســئلة ومناقشــات

جميع الحقوق محفوظة

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون، شارع الحمرا، ص.ب ٨٩٩
سيرفيا - مونالبان، بيروت، ص.ب ٨٤٦ بيروت

الطبعة الأولى
١٩٨١

هدوالنامدی کتیب

١٧٧٦
سياسة
٨٩

طارق عزيز

الصراع العراقي - الإيراني

أسئلة ومناقشات

عدوالناصري كثير

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

مقدمة

أثارت الحرب بين العراق وايران الكثير من الاهتمام . . . ونشأت حولها خلافات ومجادلات كثيرة ، وبخاصة في الوطن العربي . وبين صفوف القيادات الحاكمة ، والاحزاب والمنظمات السياسية فيه .

إن محاولتي المعنونة « الصراع العراقي ـ الايراني ـ اسئلة ومناقشات » ، لا تغطي كل جوانب هذا الصراع ، فهو مسألة كبيرة وتحتاج الى محاولة اوسع ، ولكنها تتناول ، بشكل خاص ، مناقشة الاتهامات والتحريفات التي اطلقتها ضد العراق أوساط سياسية عربية بعضها في الحكم ، من اجل تبرير انحيازها لايران في هذا الصراع ، ومن المؤكد أن بعض ما تقوله هذه الاوساط ليس بعيداً عن المواقف الخفية أو المعلنة لبعض الأوساط الدولية .

وقد تميزت حملة الاتهامات والتحريفات هذه ، بأن

الجهات التي كانت تقف وراءها قد نظمتها بأسلوب اثارة عواصف شديدة من الغبار ضد موقف العراق ، في حين كانت تخشى وتتجنب المواجهة المباشرة والمناقشة الموضوعية الهادئة للاتهامات والتحريفات التي تتضمنها الحملة .

ومما يؤكد ذلك أن الاوساط السياسية التي عنيتها في هذه المقالات وقد ذكرتها بالاسم لم تقبل المناقشة المقابلة ، وتعاملت مع الموضوع بالصمت ، ويستطيع القارىء الذكي ، والموضوعي ان يعرف السبب ! . كما ان القيادات السياسية الحاكمة التي تقف وراء الحملة الموجهة ضد العراق قد رفضت حتى الآن أية مناقشة مباشرة لموضوع الصراع في اطار المؤسسات العربية والدولية التي تجمعها والعراق ، فهي لم تحضر مؤتمر قمة عمان ، وبذلك تخلصت من هذا الاحتمال ، وفي اللقاءات الاخرى التي جرت على مستوى القيادات ، مثل المؤتمر الاسلامي سكتت الاوساط السياسية العربية الحاكمة المنحازة لايران عن موضوع الصراع ولم تتطرق اليه ، بينما استمرت ، من الناحية العملية ، في سلوكها المعادي للعراق ، ، وفي حملتها عليه .

ان هذا الكتيب يتضمن سبع مقالات نشرتها في مجلة (الوطن العربي) الاسبوعية التي تصدر في باريس في الفترة الواقعة بين (١٦ ـ كانون الثاني ـ و ٦ آذار ١٩٨١) ولكي

تكتمل الصورة لدى القارىء فقد الحقت بها ثلاث مقالات اخرى كنت قد نشرتها في (الوطن العربي) ايضاً ، في نيسان وأيار ١٩٨٠ ، أي قبل اكثر من سنة على نشوب الصراع المسلح بين العراق وايران ، ، حملت عنوان (لكي لا تختلط الأوراق . . وتتداخل الخنادق ، وتمر المؤامرة) . . وهي تتناول ازمة العلاقات العراقية ـ الايرانية في ذلك الوقت وقبله .

وأرجو أن يجد القارىء فائدة ، من ربط هاتين المجموعتين في كتيب واحد فهما تتناولان في الواقع موضوعاً واحداً .

طارق عزيز

نيسان ١٩٨١

هدى النامدي كتيب

من الذي بدأ الصراع

كيف يمكن أن تفسر الحرب القائمة الآن بين العراق وإيران؟ من الذي بدأ بها؟ وكيف تطورت الأمور الى حالة الحرب الشاملة؟ وما هي القوى التي دفعت بالأوضاع الى هذا المستوى الخطير من الصراع؟ وما هو الموقف القومي الصحيح الذي يجب اتخاذه من الحرب الدائرة الآن بين العراق وإيران؟ وما هي النتائج المتوقعة من هذه الحرب؟ وما تأثير كل ذلك على قضايا الأمة العربية المصيرية وبالدرجة الأولى قضية فلسطين والصراع العربي- الصهيوني؟...

أسئلة كثيرة تثار اليوم وترد حولها آراء كثيرة... ولكل من أصحاب هذه الآراء أنصار وأتباع يرددون رأيه ويتمسكون به... وهذا أمر قد لا نستطيع تغييره أو التأثير فيه قليلاً أو كثيراً لأن أغلب اصحاب هذه الآراء ينطلقون من دوافع ايديولوجية أو من مصالح سياسية تملي عليهم آراءهم ومواقفهم الراهنة... ولكن برغم هذا لا بد من البحث

بموضوعية عن الحقائق لأن الاغلبية الساحقة من الجماهير العربية ومن العرب الشرفاء الحريصين على القضايا الاساسية المتعلقة بأمتهم لا بد وأن يلجأوا الى الحقيقة. . . والمنطق في تقويم هذه الحرب وفي تقويم كل الآراء والمواقف الصادرة عن الأشخاص أو الاحزاب. . . أو الدول. . .

وفي هذه المحاولة المتواضعة سأحاول مناقشة هذه الأسئلة والقضايا التي يتداولها الناس اليوم حتى يتمكن الشرفاء والموضوعيون من أبناء الأمة من الوصول الى الحقيقة. . . وبالتالي من الحكم العادل على كل المواقف والآراء حول هذا الصراع.

من البادىء بالصراع؟

إن كل طرف من طرفي الصراع يمكن أن يورد حججاً وبراهين حول اتهام الطرف الآخر ببدء الصراع ومن ثم الحرب. . . ومن الممكن أن يصاب المراقب الموضوعي بالحيرة والبلبلة فلا يعرف اين تكمن الحقيقة.

انني وبرغم انتمائي المسؤول الى احد طرفي الصراع سأحاول قدر المستطاع مناقشة هذه المسألة بالاستناد الى الحقائق والمعلومات الاساسية الشائعة عند الطرفين.

هل يمكن للعراق أن يكون البادىء بالصراع مع

إيران... وبالتالي يتحمل مسؤولية البدء بالحرب ضدها؟.

إن الذي يبدأ صراعاً مع طرف آخر ويصل به الى درجة الحرب الشاملة لا بد وان يدفعه الى ذلك، اما منطلقات مبدئية.. أو مصالح... أو الاثنان معاً... فهل يمكن لمبادىء العراق ومصالحه ان تدفعه الى الصراع ومن ثم إلى الحرب الواسعة مع إيران؟.

إن النظام في العراق هو نظام حزب البعث العربي الاشتراكي... وحزب البعث العربي الاشتراكي هو حزب قومي ووحدوي... لذلك، لا يمكن أن تكون للعراق أهداف نابعة من المبادىء في إيران عدا هدفين: الأول... يتعلق بسيادة العراق على اراضيه التي لم يعدها اليه الايرانيون، رغم انها مثبتة في كل الاتفاقيات التي عقدت خلال هذا القرن بين الطرفين ابتداء من عام ١٩١٣ وحتى عام ١٩٧٥ وسيادته على شط العرب الذي كان دائماً تحت السيادة العراقية حتى اتفاقية عام ١٩٧٥ التي حصلت ايران بموجبها على امتيازات في شط العرب وفق مبدأ (التالويك). والثاني.... هدف قومي يتعلق بمنطقة الاحواز أو عربستان والتي تسميها ايران (خوزستان).. وعدا هذين الهدفين ليس للعراق أهداف منطلقة من مواقع (مبدئية) في داخل ايران فليست ايران قطراً عربياً يضمه العراق اليه ويشكل معه نواة

للوحدة العربية وليس العراق بحكم طبيعة اتجاهاته القومية معنياً مباشرة بطبيعة النظام القائم في إيران. . . إلا من زاوية موقف ذلك النظام، من العلاقات مع العراق ومع الأمة العربية ومقدار ما يكون فيه هذا النظام صديقاً أو عدوًّا.

هذان هما السببان المبدئيان والوحيدان اللذان يمكن أن يدفعا العراق الى اثارة صراع مع إيران. . . ومن ثم قد يتطور هذا الصراع الى حرب.

واذا كان هذا هو افق الجانب المبدئي فما هي احتمالات الجانب (المصلحي) بالنسبة للعراق؟.

إن العراق ليس بلداً صغيراً في المساحة. . . فبين اقطار المشرق العربي كلها ما عدا المملكة العربية السعودية هو الأوسع مساحة والأكثر سكاناً بين كل هذه الأقطار. . . وهو واحد من أغنى الاقطار العربية ثروة. . . وهذه مسألة معروفة للعالم كله. . . فهل يمكن للعراق أن يغامر بحرب باهظة التكاليف من أجل توسيع رقعة ارضه وزيادة ثروته؟.

هذا سؤال يمكن أن يطرح. . . وفي تقديري ان الاجابة السليمة عنه هي ان قيادة حكيمة لا يمكن ان تندفع في حرب معقدة وباهظة التكاليف كالحرب مع ايران ومع كل ما يمكن أن يسفر عنها من مخاطر من أجل تحقيق هدف هو توسيع رقعة ارضها وهي ليست بحاجة استراتيجية ماسة اليها

وزيادة ثروتها وهي ليست ناقصة ثروة. . . مع الأخذ بالاعتبار احتمال عدم تحقق الهدف بسبب الظروف والموازين الدولية التي قد لا تسمح بتغيير الخارطة السياسية في المنطقة. . .

ومن المعروف، وبرغم ضجيج الدعايات والاتهامات السائدة في المنطقة، ان كلاً من الدولتين العظميين، لا يؤيد مثل هذا الهدف. فالاتحاد السوفياتي يتخذ كما يقول موقفاً غير منحاز من الصراع ولم يؤيد العراق. . . لا في العلن ولا في السر. . . كما أن الولايات المتحدة الاميركية، برغم ما بينها وبين النظام الحالي في ايران، قد أوضحت بصورة رسمية لا لبس فيها انها مع (وحدة ايران). . . . أي انها لا توافق على اقتطاع اي جزء من الأراضي التي تتكون منها الدولة الايرانية الحالية. . .

وهذه المواقف معروفة للقيادة العراقية وليس لديها بشأنها أية أوهام. . .

ولنأتِ الآن الى الجانب الايراني. . .

هل هناك دوافع (مبدئية) تدفع الجانب الايراني الى إثارة الصراع مع العراق. . . ومن ثم الحرب ضده. . . وما هي مصلحة ايران في ذلك؟.

ان منطلق وغطاء النظام القائم في ايران هو منطلق

وغطاء ديني وطائفي... لذلك، فمن حيث الاساس ان لهذا النظام اهدافاً للتوسع والنفوذ في كل البلاد الاسلامية، بشكل عام والمجاورة لإيران بوجه خاص،هذه مسألة بديهية... لكن هل كانت هذه الاهداف مجرد موقف (عقائدي) ساكن أم كانت هدفاً آنياً؟ لسنا نحن الذين نجيب عن هذا السؤال... فالحكام الايرانيون قد أجابوا عنه بصورة لا لبس فيها وهي انهم يؤمنون بضرورة (تصدير) الثورة الايرانية الى البلاد الاسلامية ويعملون من أجل ذلك... وان (الثورة الاسلامية) لا يمكن أن تعيش في بلد واحد هو ايران فقط... هذا ما قاله خميني... وبني صدر... وبهشتي ورجائي... أي كل الاطراف الرئيسية في النظام الايراني واذا كان بين هذه الاطراف خلافات حول مسائل أخرى فإنهم متفقون جميعاً على هذه المسألة... كما أن من المعروف ايضاً ان حكام ايران الجدد كلهم اطلقوا في مناسبات عديدة تصريحات رسمية لا لبس فيها يقولون فيها انهم يستهدفون اسقاط النظام في العراق... ومن منطلق ديني... ومذهبي لم يخفوه على الاطلاق، بل ان اطراف النظام كانوا يتبارون في الاعلان عن هذا الهدف وفي تقديم الحجج والبراهين على امكانية تحقيقه... وفي التباهي بـ (الاحداث) و (التطورات) المزعومة التي يعتبرون بأنها الدليل على ان الهدف قد بات وشيكاً... ولعل من أبرز ما حدث في هذا الاطار هو البيان

الرسمي الصادر عن مكتب خميني. . . ورئيس جمهورية ايران ورئيس الوزراء في نيسان (ابريل) ١٩٨٠ بإعلان اغتيال الرئيس صدام حسين وإعلان وزير خارجية إيران قطب زادة في مؤتمر صحفي في دمشق. . . نعم. . . في دمشق عن هذا (النبأ) وهذا يعني ان المسؤولين في النظام الايراني يتبنون (رسمياً) هدف إسقاط النظام في العراق كمهمة سياسية آنية وليس كمجرد هدف مستقبلي ناتج عن موقف ايديولوجي. . .

أما عن (المصلحة)، فإن أحداً في الوقت الحاضر لا يستطيع ان يقدر كيف ينظر حكام ايران الى مصالحها. . . فمن الناحية المنطقية ليس لايران (مصلحة) في الصراع مع العراق وبالتالي شن الحرب ضده. . . ولكن اذا كان الحكام الايرانيون يندفعون بهذه الصورة في العداء ضد العراق، فإنهم إما أن يكون غير مكترثين بمصالح ايران الجوهرية المشروعة. . . أو أنهم يكيفون مصالح ايران وفق تلك الدوافع. . . اما اذا اعتبرنا وهذا هو رأينا ان نهج النظام الايراني الحالي، كالنظام السابق هو نهج (توسعي) سواء اتخذ شكل احلام امبراطورية كما كان عليه الحال في عهد الشاه. . . أو شكل (تصدير الثورة) كما هو الحال في النظام الراهن. . . فإن ذلك يعني ان للايرانيين (مصلحة) في النزاع مع العراق وشن الحرب ضده لأن ذلك هو الطريق الوحيدة لـ (التوسع) ليس باتجاه العراق وحده وإنما باتجاه الخليج العربي

والجزيرة العربية... فقبل تصفية الحسابات مع العراق كانت ايران الشاه تعرف... وتعرف ايران خميني اليوم انها غير قادرة على ان تضع اقدامها على الضفة الغربية من الخليج العربي...

وعند بحث مسألة من الذي بدأ الصراع، من الضروري ان لا ننسى الاحداث والوقائع التاريخية القريبة...

عندما قامت الثورة الايرانية، كان العراق صاحب المبادرة والدور الاساسي في قمة بغداد... وقد اكسبه ذلك موقعاً ممتازاً في الساحة العربية والدولية... وفي الوقت نفسه كان العراق وسوريا قد ارتبطا بميثاق العمل القومي وكانت الآمال واسعة في إقامة مشروع وحدة بين هذين القطرين وبناء قاعدة قوية للمواجهة مع العدو الصهيوني...

لذلك، يكون من غير المنطقي ان يبدد العراق هذا الموقع المعنوي والسياسي الممتاز بإثارة الصراع مع دولة مجاورة قامت فيها ثورة جديدة... وفي مقالات سابقة كتبتها ونشرت في «الوطن العربي» و «الثورة» في أيار (مايو) ١٩٨٠ أوردت أمثلة ملموسة على ان الحملة الايرانية بدأت ضد العراق في ذلك الوقت... أي في مرحلة الميثاق مع سوريا وليس بعدها...

ولو كان العراق يندفع في صراعه مع ايران من اجل

الحصول على انتصارات دعائية، كما يقول بعض الذين يتهمونه، فقد كان اسهل عليه ان ينضوي تحت لواء مجموعة «جبهة الصمود والتصدي» من ان يذهب الى الحرب مع ايران فهذه الجبهة قد اثبتت بعد ثلاث سنوات من تشكيلها... وهذا ما سنأتي عليه بالتفصيل لاحقاً... ان الانتماء اليها يحقق (امتيازات دعائية) كثيرة من دون ان يرتب على العضو فيها أية (واجبات) حقيقية... لا في المال... ولا في الدم... ولا حتى في العلاقات والمواقف الدولية...

ان التحليل المنطقي للموقف هو ان العراق حتى مع امتلاكه لدوافع مبدئية في اثارة صراع مع ايران وهي حقه في استعادة اراضيه وسيادته على شط العرب، فلقد كان التقدير الأصح بالنسبة اليه عند قيام الثورة الايرانية هو تأجيل المطالبة بذلك لحين توفر ظروف افضل لأنه كان في وضع ممتاز من الناحية السياسية والمعنوية لا بد وأن يحرص عليه... وهذا ما فعله العراق...

اما بالنسبة الى قضية عربستان، فإن الموقف المنطقي هو ان ليس من المناسب اثارتها عندما يكون الوضع العربي غير مهيأ وعرب (عربستان) غير مهيئين بصورة كافية لأنهم هم الاساس في اثارة قضيتهم والعراق هو السند المباشر لهم... كما أن العراق كان مسؤولاً عن قمة بغداد ومرتبطاً بالميثاق مع

سوريا... وهو دولة المواجهة التي اسهمت في كل الحروب مع الكيان الصهيوني والذي لا يغفر له احد التخلف تحت أي ذريعة عن المشاركة في أي حرب جديدة قد تنشب معه.؟.

ولكن عندما تفتح ايران النار على العراق... وتندفع منذ اليوم الأول لوصول الجماعة الجديدة الى السلطة الى محاولة اسقاط النظام القومي الثوري فيه وتشن عليه حملات الاعتداء والافتراء... فإن اثارة موضوع الأراضي وشط العرب وحتى عربستان لا يكون موقفاً خاطئاً لا من الناحية المبدئية ولا من الناحية السياسية... فمن حق أي دولة أن تدافع عن نفسها أولاً... كما أن من حقها أن تطالب بحقوقها حتى من الاصدقاء... فكيف اذا كان الذين يغتصبون هذه الحقوق أناساً يتمنون لها الشر ويكيدون لها العداء ؟

ان الحقيقة التاريخية... هي ان للعراق حقوقاً في ايران... وليس (أهدافاً) أو (أطماعاً)... وكان العراق مستعداً لتأجيل المطالبة بهذه الحقوق بسبب الظروف القومية والأوضاع الجديدة في ايران... وقد فعل... ولكن عندما بادر الجانب الايراني بالعداء.. واسفر عنه اسفاراً كاملاً... فلم يعد هناك أي مبرر للتأجيل... لا من زاوية المبادىء... ولا من زاوية المصالح... ولا من زاوية الاعتبارات السياسية.

واذا كان واضحاً ان ايران هي التي كانت اكثر استعداداً لبدء الصراع فمن من الطرفين كان الأكثر استعداداً أو تقبلاً لتطوير الصراع الى حرب ؟

ان النظام في العراق، نظام مستقر وراسخ ومؤسساته السياسية والعسكرية والاقتصادية والاعلامية تعمل بانتظام... وفيه قيادة مركزية موحدة وقائد بارز هما مركز صنع القرارات والإشراف الدقيق على تنفيذها...

وقرار الحرب قرار خطير جداً... ولا يمكن لنظام من هذا الطراز ان يجد نفسه (منزلقاً) في الحرب بدون وعي وتخطيط وإرادة واضحة...

وقد ذكرنا سابقاً بأن المبررات (المبدئية والمصلحية) بالنسبة الى العراق لم تكن لتدفعه الى بدء الصراع مع ايران... وان هذا الاستنتاج يعني منطقياً ان الذي لا يبدأ الصراع لا يبدأ بالحرب... وإن كان ذلك لا يشترط عدم الاستعداد لها اذا عرف العراق مسبقاً، وهذا ما حصل، ان الطرف الآخر يبيّت الشر...

أما الوضع في ايران فإنه يختلف تماماً...

فمنذ وصول المجموعة الجديدة الى السلطة وايران تعيش حالة غليان من التناحر والانقسام... ان وجود تيارات

وكتل... واتجاهات متعددة ومتصارعة في ايران حقيقة لا جدال فيها... كما ان تفكك اجهزة السلطة السياسية والعسكرية والامنية والاعلامية ومشاركتها في الانقسامات والصراعات الدائرة في إيران حقيقة معروفة للجميع.

ومع ان المنطق يقول بأن بلداً في مثل هذا الوضع احوج ما يكون الى السلم مع جيرانه من أجل تأمين الاستقرار وبناء المجتمع الجديد... إلا أن الواقع في ايران كان مختلفاً... لقد انطلق كل المسؤولين في ايران كما ذكرنا سابقاً من ضرورة... بل إمكانية (تصدير الثورة)،وهذا منطق مناسب تماماً للنزاع مع الآخرين ومع العراق بوجه الخصوص، ففي ايران... وليس في العراق... تتهيأ كل الأجواء المناسبة لتطوير الصراع الى حالة حرب... لأن الذي لا يقدر مسؤولية المخاطر التي تحدق بإيران وهو تماماً حال المسؤولين فيها.. هو الذي يمكن ان يندفع الى الحرب من دون تقدير دقيق ومسؤول للعواقب...

وسؤال آخر ...

من من الطرفين يمكن ان يفكر أو ينزلق الى الحرب في محاولة منه للخلاص من ازمة داخلية بتصديرها في عملية صراع مسلح مع طرف خارجي ؟

هل الأوضاع السياسية والاقتصادية في العراق هي من

النوع الذي يدفع القيادة فيه الى مثل هذه (المغامرة) الخطيرة خلاصاً من مأزق داخلي لا حل له ؟

طبعاً، ان اجهزة اعلام بعض الأوساط والاحزاب (العربية) ولا بد لنا أن نضع خطاً تحت عبارة (العربية)- تقول ذلك... ولكن من يصدقها؟.

الواقع يشير الى قوة النظام ورسوخه في العراق.وعما زاده قوة ورسوخاً تسلم الرئيس صدام حسين لمركز القيادة الامامي بصورة رسمية كما تعزز موقفه داخلياً وعربياً ودولياً... فالاقتصاد متين... والتنمية شاملة... والنمو في مستويات المعيشة مضطرد... وعلاقات العراق الدولية تتسع... وهو كان مهيئاً لاستضافة قمة الأويك... وهو يستعد لاستضافة قمة عدم الانحياز القادمة.وقبل اشهر من الحرب خاض العراق عملية انتخاب أول مجلس وطني بعد ١٢ عاماً من قيام الثورة... واثناء الحرب... في شهر ايلول (سبتمبر) خاض عملية انتخاب المجلس التشريعي لمنطقة الحكم الذاتي...

فهل هذه مظاهر أزمة أو مأزق لا خلاص منها إلا بتصديرهما على شكل حرب مع إيران؟... اما ايران فإنها بلد يعيش بدون مؤسسات دستورية متكاملة... ولا يعرف حتى الآن مدى صلاحية أي مسؤول وأي مؤسسة فيه... فوضى سياسية شاملة وصراعات حادة بين الأشخاص

والمؤسسات وتوقف شبه شامل في الآلة الاقتصادية. . . وفوضى شاملة في العلاقات الدولية. . . ان كل مظاهر الأزمة والمأزق الداخلي موجودة في ايران، وبأسوأ درجة. . . وفي مناخ كهذا. . . يمكن للنظام أو لأطراف فيه ان تفكر بتصدير الأزمات والمأزق الى الخارج حتى ولو كان ذلك بإثارة الحرب. . . .

من الـــذي كـــان وراء الحـــرب؟

السؤال الآخر الذي يتردد هو من كان وراء هذه الحرب؟ ومن شجع عليها ولمصلحة من قامت؟.

إن بعض الأوساط العربية والدولية تتهم العراق بأنه قد قام بهذه الحرب «نيابة» عن الامبريالية الاميركية من أجل القضاء على «الثورة الايرانية» واخضاعها للمخطط الاميركي.....

إننا لن نناقش هذا الاتهام طويلاً لأنه أتفه من أن يناقش... فالدول في الكرة الأرضية مثل الاشخاص في القرى... كل واحد منهم معروف بأخلاقه وسيرته وانتمائه... فالسفيه منهم معروف... وبائع الشرف معروف... والعاقل معروف... والشريف معروف... وعندما يتهم أحدهم بتهمة ما... يستطيع الشرفاء والحكماء من أهل القرية إنصافه ورد التهمة المزورة عنه...

ولكن هناك قول تردده بعض الاوساط الدولية يقول نصف الحقيقة ولا يكملها... ولعلّ مناقشته تشكل مدخلاً صحيحاً لمعرفة الحقائق عمن كان وراء هذه الحرب... ومن الذي يستفيد منها... ولماذا لم تنته بسرعة الى آخر الأسئلة المعروفة...

ان هذا القول هو: ان هذه الحرب قد قامت بتشجيع من الامبريالية الاميركية... من اجل ان تتوفر لها الظروف المناسبة لاعادة سيطرتها على ايران وبسط هيمنتها على منطقة الخليج العربي الغنية بالنفط. قول جميل جداً... وصحيح جداً... لكن أصحابه لا يقولون كيف وأين تم ذلك؟.

ان اصحاب هذا القول لا يجاملون العراق لأن هناك صلة ما بين اصحاب الاتهام الأول... وبين اصحاب هذا القول... فلو كان اصحاب هذا القول وهم في مرتبة اكثر مسؤولية من اصحاب الاتهام الأول مقتنعين أولاً وقادرين على الاثبات ثانياً... بأن الامبريالية الاميركية هي التي شجعت العراق على اشعال نار هذه الحرب لقالوها بدون تردد... لكن اصحاب هذا القول يعرفون الحقيقة... وهي ان اميركا ومخططاتها في وادٍ... والعراق وأهدافه في وادٍ آخر... ولكنهم يقولون نصف الحقيقة لأنهم لا يريدون اغضاب الايرانيين لأن لهم في ايران مأرباً... ولا يهم في ذلك ان يلحق الأذى بالعراق....

ان قصة تشجيع الامبريالية الاميركية للحرب بين العراق وايران لا بد وان تتوضح ... هل جرى هذا التشجيع في بغداد؟ أم في طهران أم في كليهما معاً؟.

لنناقش احتمال ان ذلك قد تم في بغداد، كما تريد بعض الأوساط أن توهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة...

ان دولة مثل اميركا عندما تنجح في «تشجيع» دولة اخرى مثل العراق على دخول عملية خطيرة كالحرب، لا بد وأن تستند في ذلك التشجيع على روابط قديمة وعريقة... وقواعد موضوعية تمكنها من تحقيق هذا الاحتمال. ومن المعروف انه ليس بين العراق والولايات المتحدة حتى علاقات دبلوماسية منذ زمن بعيد... وكانت العلاقات بين الطرفين سيئة ومتوترة طوال السنوات الماضية... وحتى قبل خمس سنوات كانت اميركا تشجع علانية تمرداً داخلياً ضد النظام في العراق... وكان العراق يسمى في الصحافة الاميركية زعيم جبهة الرفض ويتهم بأنه يشجع «الإرهاب الدولي» وهو صاحب المبادرة بعقد قمة بغداد ومواجهة مشروع كامب ديفيد... وعزل السادات... وابعد ما حدث في العلاقات بين العراق واميركا هو ان العراق ضمن اطار خطة التنمية الواسعة فيه... لم يحظر على الشركات الاميركية المساهمة في بعض مشاريع التنمية، ولا توجد في العراق اسلحة اميركية ولا توجد للعراق في اميركا ودائع... أو ممتلكات... وليس

للعراق في اميركا شبكات من العلاقات مع الأشخاص أو المؤسسات الاقتصادية أو الثقافية وغيرها من الأسس التي تجعل التعاطي بين الدولتين في قضايا خطيرة مثل الحرب أمراً ممكناً.

وليست القيادة في العراق من الغباء بحيث يمكن أن تدخل في حرب مع دولة تكبرها بالمساحة والسكان بأكثر من ثلاث مرات... وتقع على حدود دولة كبرى مثل الاتحاد السوفياتي وتحمل راية ثورة تدعي انها إسلامية لمجرد أنها اطلعت بطريقة مزعومة على تقارير لوكالة المخابرات الاميركية تزين لها الحرب مع ايران أو ان احد السياسيين أو الضباط من المعارضين لنظام خميني قدموا لها معلومات خاطئة أو أن دولة صديقة لاميركا من دول المنطقة قدمت لها مثل هذه المعلومات. ان هذا الاحتمال يصح لو لم يكن في العراق دولة وقائد ومؤسسات قديرة... اما اذا كان كل ذلك متوفراً ومعروفاً للقاصي والداني، فإن أبسط ما يقال عن مثل هذا الاحتمال انه احتمال سخيف... ثم لماذا يقبل العراق بـ «تشجيع» اميركا له للدخول في حرب مع ايران؟ اذا كان ذلك من أجل اراضيه المحتلة وشط العرب، فإن العراق لا يحتاج الى «تشجيع»، فهذا هدف وطني لا بد لأي قيادة وطنية ان تسعى الى تحقيقه في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة... اما اذا كان ذلك من أجل «عربستان»، فإن موقف اميركا

واضح في هذا الأمر كما أسلفنا...

لو تركنا المبادىء والاتجاهات المعلنة في العراق واخذنا هذه الحقائق الموضوعية فقط وبالاضافة اليها حقيقة كبيرة في الحرب وهي ان النسبة الغالبة في التسليح العراقي هي سوفياتية، فهل يمكن ان يقبل العراق تشجيعاً اميركياً للدخول في حرب يخوضها بأسلحة سوفياتية ضد دولة اخرى تسليحها أميركي؟.

ان مطلقي هذا «التحليل» للحرب بشكله الغامض يتصورون بأنهم تحت سحابات غبار الاتهامات التي تطلق في المنطقة بدون حساب. يمكن ان يمرروا هذا التفسير دون ان يتصدى له احد بالمنطق، والادلة الملموسة. ولكن هيهات... لا يمكن الضحك على الذقون في القضايا الكبيرة، فلا يزال هناك على الرغم من انتشار الدجل والتزييف والكذب في ارجاء واسعة من المنطقة من يستطيع ان يدل على الحقائق ويضع النقاط على الحروف. ولكن ما هو النصف الآخر من الحقيقة الذي يخفيه اصحاب هذا «التحليل» عجاملة لنظام طهران أملاً في شيء ما قد يحدث في طهران؟.

النصف الآخر من الحقيقة هو ان عملية «التشجيع» هذه قد جرت في طهران وليس في بغداد، ففي طهران هناك أكثر من مبرر موضوعي وأكثر من ظرف مناسب لحصول مثل

هذا «التشجيع» في حين لا يوجد في بغداد مبرر موضوعي واحد وظرف مناسب واحد. . . .

كيف؟.

ان واقع الأوضاع في ايران وطبيعة الاتجاهات القائمة فيها هي التي تفسر كيفية حدوث هذا التشجيع.

من المعروف ان في السلطة في إيران ثلاثة اتجاهات رئيسية متصارعة. وفي الوقت نفسه، فإن بينها علاقات متشابكة وأن أيا من هذه الاتجاهات لم يستطع حتى قيام الحرب مع العراق ان يحسم الأمور لصالحه. . .

الاتجاهات الرئيسية الثلاثة هي:

رجال الدين وأتباعهم.

السياسيون المدنيون المتأثرون بالثقافة الغربية.

الجماعات المرتبطة بشكل أو بآخر بأميركا ومنهم أوساط في الجيش الايراني؟.

ومن المعروف انه لا توجد في ايران اليوم مؤسسات دولة متكاملة تعمل ضمن نظام مركزي قادر على السيطرة على المعلومات والاتجاهات والتحركات في كافة الميادين.

وفي مثل هذا الجو المتفكك والمتناحر، تتوفر أفضل

الفرص للمداخلات المباشرة أو غير المباشرة من جانب القوى الأجنبية وخاصة تلك القوى التي لها جذور عميقة في المجتمع الايراني...

صحيح ان الشاه رحل ورحل معه المستشارون الاميركان وأن موظفي السفارة الاميركية محتجزون كرهائن، ولكن اميركا حاضرة في ايران في كل ميدان، في الجيش وفي الثقافة وفي الاقتصاد وفي العلاقات الشخصية، شبكة طويلة ومعقدة من العلاقات هي واقع موضوعي ناتج عن عشرات السنين من الوشائج القوية في عهد الشاه ولا يمكن لايران ان تتخلص منه إلا بعد سنوات طويلة من العمل المثابر وفي ظل قيادة مستقرة ومدركة وكفؤة وتتجه جدياً بهذا الاتجاه.

ان رجال الدين لم يكونوا بحاجة الى تشجيع للصراع مع العراق. فهم قد حددوا هدفهم منذ وصولهم الى السلطة في ايران بالسعي لإسقاط النظام في العراق... وما كانوا بحاجة اليه بعد وصولهم الى السلطة...

اضف الى ذلك اقتناعهم بتوفر الامكانات العملية لذلك. وقد توفرت لهم هذه القناعة من خلال ثلاث قنوات:

القناة الأولى هي الجماعات الدينية السياسية المعارضة في العراق وخصوصاً «حزب الدعوة» الذي انتقل قادته بعد ثورة ايران مباشرة الى طهران وقم ولازموا قادة ايران الدينيين

والسياسيين وصاروا يقولون لهم صباح مساء بأن الظروف في العراق قد «اينعت» لاسقاط النظام وان ليس على ايران سوى مساعدتهم بالمال والسلاح والدعاية وإثارة الصراع مع النظام. وقد شجعت رجال الدين وبعض السياسيين الايرانيين السادرين في غيهم وحساباتهم الخاطئة بعض اعمال التخريب التي دبرتها هذه الجماعات الدينية على يد عملاء ايرانيين وتصوروا بأن ما يقال هو الحقيقة... أما القناة الثانية، فقد كانت أجهزة الاعلام الامبركية والصهيونية وبعض من الأجهزة الغربية التي صارت تركز، وعلى نطاق واسع على التناقضات المذهبية المزعومة في العراق وتصف النظام القومي فيه وصفاً مذهبياً معيناً كما صارت هذه الأجهزة تنشر وتركز على الانباء المزعومة على نشاط المعارضة الدينية ونشاط الجماعات الكردية المتمردة وحتى نشاط الشيوعيين. وعندما يقرأ رجال الدين في ايران كل هذه المعلومات مع ما في نفوسهم من عداء دفين للعراق ومع ما في ايران من عجز عن تمحيص المعلومات، فإن ذلك يعزز قناعتهم واندفاعهم في السعي لاثارة الصراع مع العراق وحتى خوض الحرب ضده. اما القناة الثالثة، فقد كانت بعض الأنظمة والأوساط العربية التي استغلت عداء قادة ايران للعراق لتحريضهم على النظام فيه وتصفية الحسابات معه...

ومن جانب آخر فإن السياسيين المثقفين بالثقافة الغربية

في ايران، نوعان : نوع لا صلة ارتباط له بأميركا والغرب ولكنه انتهازي ويريد ان يركب الموجة ويرضي رجال الدين من اجل الحصول على مواقع في السلطة. وقد تصور هؤلاء ان الطرق على العداء ضد العراق تجارة رابحة في الوضع الجديد في ايران فراحوا يتبارون في شن العداء ضده والتحريض عليه والتقليل من شأنه من دون أي حساب للعواقب. . .

أما الجناح الآخر من السياسيين المثقفين بالثقافة الغربية والذي يرتبط بأميركا والغرب، فإنه هو والجناح العسكري كانوا يدرون ماذا يفعلون.

ان كل المرتبطين بأميركا في ايران كانوا يعرفون بأن الصراع مع العراق فرصة ثمينة بالنسبة لهم. . . فهو يشغل النظام الجديد في ايران عن مهمات بناء المجتمع الجديد ويعرضه الى الاستنزاف، كما أن هذا الصراع عندما يتطور الى حرب، فإن اميركا ستكون القضية رقم (١) في طهران. فالسلاح في ايران اميركي والعقيدة القتالية اميركية والخبرة الفنية اميركية وكل شيء في الحرب سيكون اميركياً. واضافة الى هذا، فإن العراقيين سيستخدمون في حربهم ضد ايران اسلحتهم السوفياتية وسيكون هناك مجال واسع للتشهير بالاتحاد السوفياتي واسلحته الشهيرة دولياً (الميغ والـ : ت ٥٥

و ٦٢ و ٧٢ والسام والكلاشينكوف وغيرها في حين ستصبح كلمات الفانتوم وإف ١٤ والهوك والتاو عزيزة جداً على قلوب الايرانيين المحاربين باسم «الثورة الاسلامية». وهذا ما سعى اليه اصحاب هذا الجناح طوال اشهر عديدة... فقد كانوا يلحون الحاحاً شديداً على تسخين النزاع مع العراق وعلى الاستهانة بقوته العسكرية والسياسية.

وفي نيسان (ابريل) عام ١٩٨٠، قال بني صدر رئيس النظام في خطاب له: «انه اذا ما تحرش العراقيون بحدودنا الغربية فإنني لا أستطيع ان اوقف زحف الجيش الايراني باتجاه بغداد.» وفي نفس الخطاب، قال بني صدر ان العراق حاول التوسط ثلاث مرات لحل نزاعاته مع ايران وانه هو قد رفض ذلك. وعلى الرغم من كل خلفيات العداء ضد الجيش الايراني التي حملتها الجماهير الايرانية في نضالها ضد النظام السابق ومؤسساته، صار هؤلاء الذين يتواجدون في مراكز قيادية في السلطة والجيش ينبهون الى اهمية اعادة بناء الجيش وتوفير مستلزماته وصارت التصريحات العنجهية للقادة العسكريين الايرانيين تحتل مكاناً بارزاً في اجهزة الاعلام الايرانية...

وأغلب تلك التصريحات كانت ترد في اطار المقارنة بين قوة الجيش الايراني في مواجهة الخطر المزعوم القادم من العراق.

وهكذا طوال اشهر عديدة كان كل طرف من الاطراف الثلاثة المتصارعة على السلطة في طهران يشحن الآخر ضد العراق، رجال الدين يريدون تحقيق آمالهم في الوصول الى المراكز الدينية في العراق،والسياسيون الانتهازيون يركبون الموجة وعملاء اميركا يعتبرون الحرب مع العراق أفضل فرصة لهم لإعادة المياه الى مجاريها،والعسكريون الذين طغى عليهم رجال الدين والحرس الثوري يجدون في الحرب فرصتهم الثمينة لتعزيز مواقعهم التي خسروها في خضم الثورة.

في هذا الجو- ايها السادة- الذين تتحدثون عن تشجيع الامبريالية الاميركية حدث «التشجيع» في طهران وليس في بغداد، المستقرة الهادئة التي فيها قيادة وطنية متماسكة واجهزة يقظة وقدرة عالية على الفرز والحساب والتحليل والاستنتاج.

ولكن . . . لماذا يقال نصف الحقيقة ويخفى النصف الآخر؟.

ان قول نصف الحقيقة يسيء الى العراق. . . هذا لا يهم، فالعراق يطالب بالاستقلال القومي وقد دعا الرئيس صدام حسين في ٨ شباط (فبراير) ١٩٨٠ الى اخلاء الوطن العربي من كل انواع القواعد والتواجد الأجنبي. . . . ودعا الى عدم استخدام السلاح في النزاعات العربية، أي الى بناء أسرة عربية مستقلة ومتضامنة،وهذا كلام لا يسر من يريد ان

يكون له وجود في الوطن العربي حتى ولو ادى ذلك الى وجود آخرين، فاقتسام النفوذ والحصص لا يضر بل ينفع، لأن الحصول على حصة من قطعة الحلوى الكبيرة التي هي الوطن العربي أفضل من عدم الحصول على أي شيء عندما تكون ملكاً حلالاً لأصحابها العرب.

وفي الوقت نفسه، فإن قول نصف الحقيقة لا يغضب الايرانيين. ففي ايران قد اختلط الحابل بالنابل ولا يعرف اصحاب هذا القول بشكل دقيق تماماً «اين يختفي الشيطان الاميركي»: هل في عمائم بعض رجال الدين أم في معاطف بعض السياسيين الذين يتحدثون باللغات الأوروبية، أم تحت خوذ بعض العسكريين؟ ومن الأفضل في الوقت الراهن عدم إغضاب أي من هؤلاء مع الاستمرار في الرصد والمراقبة للتعرف الى ما يجري في هذا الخليط العجيب من البشر لعل المخاض يسفر عن شيء...

حـــرب قصـــيرة أم طويـــلة؟

تقول بعض الأوساط العربية والدولية ان العراق بادر الى شن الحرب ضد ايران مستهدفاً إسقاط النظام القائم فيها خشية من «تصدير الثورة» إليه... وانه كان يتصور بأن ضربة عسكرية خاطفة وسريعة ستحقق له هذا الهدف... وانه في ذلك قد التقى مع مخططات الامبريالية الاميركية وبعض دول المنطقة في إسقاط «الثورة الاسلامية». وتقول هذه الأوساط أيضاً ان العراق قد فشل في تحقيق هذا الهدف وانه وجد نفسه «متورطاً» في حرب طويلة الأمد وذات تكاليف باهظة.

ان هذه الأوساط وهي تروج لهذه المزاعم تغفل حقيقة كبيرة في الحياة وهي أن «ثورة غير ناضجة» لا يمكن أن تصدر الى بلد فيه «ثورة ناضجة»، كما ان العراق ليس فيه نظام ملكي قديم ومتفسخ... أو نظام رأسمالي غارق في الاستغلال والعفن... حتى يمكن أن تصدر اليه «ثورة» لم تستقر حتى في البلد الذي قامت فيه... ولم تعرف بعد ملامحها ومنجزاتها السياسية والاقتصادية والثقافية والتنظيمية...

وهل جاءت ثورة خميني بالخير العميم على شعوب ايران فازدهرت فيها الحريات واعطيت الحقوق للشعوب الايرانية وترسخت المؤسسات الثورية الحديثة وارتفع المستوى المعاش للناس وانتشرت العدالة بينهم بحيث يمكن أن تصدر الى بلد كالعراق بكل ما يتمتع به من ازدهار اقتصادي واستقرار سياسي وبنظامه الثوري والاشتراكي الذي يقوده حزب جماهيري كبير متمرس على النضال منذ عشرات السنين؟

ان اطلاق الاتهامات... والتفسيرات المزورة أمر ممكن. لكن ذلك لا يصمد بوجه الحقائق الكبيرة.

ان ثورة السابع عشر من تموز (يوليو) ١٩٦٨ قد نقلت العراق من حال الى حال عبر اثني عشر عاماً... ففي خلال هذه السنوات، اصبح العراق الضعيف قوياً والعراق المقسم موحداً... والعراق المتخلف متقدماً... والعراق الفقير غنياً، كما اصبح العراق الذي لم يكن له دور فاعل في الحياة العربية وفي المجتمع الدولي من أهم الأقطار العربية تأثيراً... إن لم يكن أهمها... وفي جميع الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية... كما أصبح ذا دور عالمي بارز وفعال... فكيف يمكن أن «يغزى» مثل هذا البلد بثورة خميني التي لا نقول فيها سوى أنها لم تكتمل بعد....

ان افضل دليل على أن العراق لم يكن يخشى ما يسمى

«تصدير الثورة» إليه هو مجريات الحرب نفسها... فمنذ أن قامت الحرب وحتى هذا اليوم ظهر الفارق الكبير بين الأوضاع في العراق وبين الأوضاع في ايران... فالجيش هنا قوي... والجيش هناك ضعيف... والاقتصاد هنا قوي... والاقتصاد هناك ضعيف... والقيادة السياسية هنا موحدة... والقيادة السياسية هناك منقسمة تتطحنها الخلافات والمهاترات... والشعب هنا موحد وملتف حول قيادته... والشعب هناك تتوزعه الانقسامات والصراعات والثورات الداخلية... فكيف يمكن ان يخشى العراق وهو بكل هذه الصفات من أن تصدر ايران «ثورتها» اليه وهي بهذه الحالة المزرية؟.

وحسب منطلق اصحاب هذا الاتهام... أو التفسير فإن خطر«تصدير الثورة الايرانية» المزعوم لا يهدد العراق فحسب، وإنما يهدد أقطاراً أخرى في المنطقة ويهدد مصالح الامبريالية أيضاً،فلماذا يا ترى يخوض العراق الحرب وحده للقضاء على «الثورة الايرانية» ونيابة عن كل هؤلاء ولا يجعلهم يدخلون معه الحرب ضد ايران؟ هل العراق بلد فقير يملك الرجال ولا يملك المال لكي يلعب رجاله دور المرتزقة فيقاتلوا دفاعاً عن العروش والأنظمة المهددة بثورة خميني... ودفاعاً عن مصالح الامبريالية؟ أوليس العراق هو الذي يساعد الأقطار العربية ذات الدخل المحدود؟ أوليس العراق هو صاحب فكرة عقد التنمية العربية وأحد المساهمين

البارزين فيه ؟ أوليس العراق هو الذي يساعد الدول في العالم الثالث... فيتنام... موزامبيق... وزامبيا... وكوبا... ومدغشقر... وغيرها... فكيف يتحول هذا القطر الذي ينتج أكثر من ثلاثة ملايين برميل من النفط يومياً والذي توصف خطة التنمية فيه في الصحافة العالمية بأنها أضخم خطة تنمية بين بلدان العالم الثالث من هذه الحالة المزدهرة الى «وكيل» يقاتل نيابة عن بعض الأنظمة العربية وعن مصالح الامبريالية الأميركية؟.

وتغوص بعض هذه الأوساط في تفسيرها هذا لتقول بأن «الثورة» في ايران قد هددت النظام في العراق تهديداً «طائفياً»، لذلك، فإن النظام في العراق عمل على شن الحرب ضد ايران لمواجهة مخاطر هذا التهديد...

حسناً هنا تبدأ الأقوال التي تستحق المناقشة والتحليل...

نعم... ان نظام خميني حاول وما يزال يحاول اثارة الفتن الطائفية في العراق والوطن العربي... لكن هل تساءل اصحاب التفسير الأول الذي ذكرناه... وكثير منهم يحمل «الجنسية العربية» والذين يطلقونه من دون ان يكملوه كما يفعل البعض الآخر من اصحاب التفسير الأكثر تفصيلاً: لمصلحة من تثار هذه الفتنة الطائفية؟ وهل تخدم النضال ضد

مصالح الامبريالية الاميركية... والنضال ضد الكيان الصهيوني؟.

إننا لن نتناول هذه المسألة بالتفصيل هنا.. فقد نعود اليها في مجال آخر لكن من البدهيات المعروفة في الوطن العربي ان تجزئة الأمة العربية الى اقطار أولاً... ثم تجزئة الأمة العربية على أسس اقليمية وطائفية وعشائرية وغيرها من الأسس التي تهدد وحدة الأمة العربية بعد ذلك كانت وما تزال من أهم الأسباب التي يسّرت للقوى الاستعمارية مهمة السيطرة على الوطن العربي... كما كانت وما تزال من أهم أسباب قيام الكيان الصهيوني في فلسطين واستمراره في اغتصاب الأرض العربية وتهديده المصيري للأمة العربية...

فاذا كان خميني يستهدف تحت ستار ما يسمى بـ «تصدير الثورة» تجزئة العراق على أساس طائفي، فإن من حق العراق ألف مرة بل ان واجبه الوطني والقومي يحتم عليه ان يحاربه... ولو كان مطلقو هذا التفسير من حملة الجنسية العربية عرباً حقاً وغيورين حقاً على تصفية مصالح الامبريالية وعلى النضال من أجل تحرير فلسطين لكان مكانهم الطبيعي الآن هو جبهات القتال جنباً الى جنب مع اخوتهم العراقيين... وليس في الخندق المعاكس الى جانب خميني صاحب الفتن الطائفية.

ان الدفاع عن الوحدة الوطنية ضد أية محاولة خارجية تستهدف ضربها عمل مشروع... حتى ولو ادى ذلك الى الحرب الشاملة الى ان يتم القضاء على الفتنة ومصدرها، لكن هل كان العراق بحاجة الى الحرب السريعة والخاطفة أو الحرب الطويلة للقضاء على هذه «الفتنة»؟

لو كان النظام في العراق يخشى حقاً من تأثير خميني في قسم كبير من أبناء شعبه... فيجعلهم يثورون على النظام القومي والثوري والاشتراكي فيه... فهل يكون العلاج بزج الجيش الذي يتكون من كل أبناء الشعب... ومنهم أولئك الذين يزعم بأنه يخشى «ثورتهم» عليه في حرب ضد مصدر «الالهام». لو كان الخوف من تأثير خميني واقعاً فعلاً... فإن الحرب تكون طريقاً لـ «الانتحار» وليس طريقاً لـ «الخلاص»...

إن دخول العراق في حرب مع ايران وزجه بعشرات الألوف من قواته المسلحة التي تتألف من ابناء الشعب عرباً واكراداً... ومسلمين ومسيحيين... بكل مذاهبهم وطوائفهم... هو الدليل القاطع على ان خطر «ثورة خميني» على الأوضاع في العراق هو «اسطورة» وليس حقيقة... وإلا فكيف يستطيع جيش العراق المتكون من كل هؤلاء ان يقاتل اشهراً عديدة قتالاً باسلاً وقديراً في جبهة طولها مئات

الكيلومترات وان يحقق انتصارات باهرة ويتمتع بأعلى المعنويات؟؟ إن النظام الذي يخاف من خطر داخلي لا يذهب الى الحرب في الخارج... ففي كل الحسابات ان الحرب في الخارج تؤزم الخطر الداخلي ولا تعالجه... وان نظاماً كهذا سيكون بحاجة الى الجيش والبوليس و «الميليشيا» لـ «قمع الثورة» في الداخل فكيف يرسلهم الى الخارج وعلى بعد مئات الكيلومترات وفي حالة مزعومة كهذه؟.

أما بشأن الزعم الآخر... الذي يقول بأن العراق خطط لحرب سريعة وخاطفة تؤدي الى اسقاط النظام الايراني، فإننا نود أولاً أن نعلق على تعبير الحرب السريعة والخاطفة... من ادخل هذا التعبير أصلاً في الحياة العربية وبالتالي الى القاموس السياسي العربي بحيث صار العراق يتهم باللجوء الى هذا الأسلوب من الحرب ؟ . . . أوليسوا هم بعض اولئك الذين يروجون لهذا الزعم السخيف ؟ . . . في تاريخ الحروب الحقيقية والجدية ليس هناك وجود لمثل هذه الحروب « السريعة والخاطفة » ؟ .

إن الحرب اذا كانت جدية حقاً... لا يمكن ان تكون سريعة وخاطفة لأنها عملية سياسية وعسكرية كبيرة ومعقدة... لكن «قادة» ميامين من أمثال حافظ أسد وأنور السادات... أدخلوا الى الحياة العربية وبالتالي الى القاموس السياسي العربي أسلوب «الحرب الخاطفة والسريعة». ففي

حزيران (يونيو) ١٩٦٧ استسلم وزير الدفاع حافظ أسد بعد ستة أيام من «اللاقتال» وليس من «القتال» وأعلن سقوط القنيطرة قبل أن تصلها قوات الغزو الصهيوني... وفي سيناء، أوقفت الحكومة المصرية القتال بعد ستة أيام فقط لمجرد أن العدو الصهيوني بدأ الحرب وضرب القواعد الجوية المصرية... وهكذا شاهدنا للمرة الأولى في تاريخ الأمة العربية... بل وفي تاريخ الكثير من الأمم نموذجاً لـ «الحرب السريعة والخاطفة» لمجرد ان العدو الصهيوني اثبت تفوقاً لمدة ستة أيام في المعركة...

وفي العام ١٩٧٣، قاتل حافظ أسد وأنور السادات أسبوعين... ثم راحا يبحثان عن قرار لوقف اطلاق النار... وتوقف اطلاق النار والقوات المصرية قد عبرت قناة السويس الى الشرق في حين عبرت قوات الكيان الصهيوني القناة باتجاه الغرب... أما «القائد» حافظ الأسد، فقد خرج من هذه الحرب أيضاً وقد تراجع الى وراء بضعة كيلومترات... وهكذا، شهدنا مرة أخرى نموذجاً ثانياً لـ «الحرب السريعة والخاطفة».

واذا كان السادات وأسد يشكلان مثلاً سيئاً للقادة الذين خاضوا حروباً «سريعة وخاطفة». لم تحقق أية نتيجة فعالة على ساحة المعركة... فمن قال بأن هذا الأسلوب قد أصبح قانون الحياة العربية؟...

ان الذي يجري في العراق شيء مختلف... فلا تجربة العراق هي مثل تجربة سوريا ومصر... ولا صدام حسين هو مثل السادات والأسد.... ففي العراق يجري بناء تجربة قوية مستقلة وجدية وذات ارادة صلبة... وصدام حسين قائد تاريخي يستلهم الحقائق الكبيرة في حياة شعبه وامته وينظر الى آفاق المستقبل البعيد ويقدر حقائق الحياة حق تقديرء لذلك لا يمكن للعراق أن يقلد اصحاب اسلوب «الحرب الخاطفة والسريعة» فيخطط لمثل هذه الحرب المزعومة ثم يجد بعد ذلك انها ليست خاطفة... وليست سريعة.

ان الذي ينظر الى مساحة ايران ويعرف عدد سكانها لا يمكن ان يخطيء في التقدير فيظن ان الحرب مع ايران ستكون خاطفة وسريعة وانها ستؤدي بضربة سحرية الى اسقاط النظام في طهران. كما أن العراق بحكم مجاورته لايران وصراعه الطويل مع شاه ايران هو اكثر بلدان المنطقة معرفة بحجم التسليح العسكري لايران..

صحيح ان الشاه قد رحل ورحل معه المستشارون الاميركان... وان عدداً من الضباط الايرانيين قتل بعد مجيء خميني الى السلطة... لكن الشاه لم يأخذ معه مئات الدبابات والمدافع والصواريخ والطائرات وغيرها من أحدث اسلحة الترسانة الأميركية فهذه كلها بقيت في ايران... ومن يفكر

بخوض الحرب مع ايران عليه ان يفكر بحجم هذه الأسلحة على اقل تقدير اذا لم يفكر بنوعيتها ايضاً.

ويقول المنطق انه اذا كان الهدف من الحرب هو «اسقاط النظام الايراني» فإن الطريق الى ذلك هو الحرب الطويلة وليست السريعة والخاطفة خصوصاً مع الأخذ بالاعتبار مساحة ايران وعدد سكانها التي تبلغ اكثر من ثلاثة اضعاف مساحة العراق وسكانه... فهل يمكن أن تتوهم القيادة في بغداد بأنه من خلال احتلال عدة مدن ايرانية على الحدود مع العراق ومن خلال محاصرة ديزفول والاحواز وعبادان يمكن أن يسقط النظام الايراني في أيام؟.

ان المنطق يقول انه اذا كان الهدف هو اسقاط النظام في ايران، فإن على العراق اما ان يحتل كل ايران أو الجزء الأكبر منها أو ان عليه ان يخوض حرباً طويلة يستنزف فيها طاقات ايران وينتظر تفاعلات الحرب السياسية والاقتصادية والنفسية حتى يتم تغيير النظام فيها... ان اصحاب هذا التفسير السخيف يناقضون انفسهم «بأنفسهم» عندما يخترعون هدفاً للعراق ثم يزعمون أسلوباً استخدمه لا يمكن ان يحقق مثل هذا الهدف ثم يخرجون باستنتاج ان العراق قد فشل أو تورط...

ان الأمر الأكيد هو ان اي مسؤول عراقي لم يصرح

قبل الحرب أو أثناءها بأن العراق يستهدف اسقاط النظام في ايران أو تغييره. والاكيد ايضاً هو ان كل المسؤولين الايرانيين، بدءاً من خميني وبني صدر ورجائي ونزولاً الى اصغر شخص من أتباع السلطة الايرانية كانوا لا يكفون عن الاعلان عبر السنتين الماضيتين بأن هدفهم هو اسقاط النظام في العراق... فمن الذي فشل في تحقيق هدفه؟ كما أن أي مسؤول عراقي لم يعلن عن استنتاج رسمي بأن الحرب ستؤدي الى اسقاط النظام في ايران أو تغييره وان كان هذا «من الناحية الواقعية» احتمالاً وارداً... لكن كل المسؤولين في ايران قالوا... وما يزالون يقولون بأن الحرب ستؤدي الى اسقاط النظام في العراق... فتقديرات من التي خابت؟.

ان بعض الاوساط العربية والدولية تفسر دعوة العراق الى وقف اطلاق النار والدخول في مفاوضات على انها ناتجة عن انه كان قد خطط لحرب قصيرة... ولما طالت الحرب صار يدعو الى ذلك... ان هذه الاوساط التي قلبت كل الحقائق كما بيّنا في المناقشات السابقة تقلب الحقيقة هنا ايضاً... ان دعوة العراق السلمية لا تعني انه خطط لحرب قصيرة أو طويلة وإنما تعني انه لم يكن راغباً في الحرب... ولم يكن بادئاً بها، وإنما اضطر اليها،وعندما وجدها محتومة اختارها وخاضها بشجاعة وكفاءة.

وفي يوم ٢٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٠ وبعد ستة أيام من الهجوم الشامل الذي شنته القوات العراقية على ايران ووصولها الى اهداف عسكرية مهمة في داخل العمق الايراني... وبعدما ثبت ان ايران قد تعرضت الى هزيمة عسكرية، دعا الرئيس صدام حسين... ايران الى الاعتراف بحقوق العراق في اراضيه ومياهه والى إعادة حقوق الامة العربية في الجزر الثلاث ابو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى. والى التخلي عن اطماعها التوسعية واحترام علاقات حسن الجوار مع العراق والأمة العربية.

وكانت تلك الدعوة تنطلق من موقع القوة... وما تزال دعوات العراق السلمية المبنية على الأسس نفسها التي حددها الرئيس صدام حسين في خطابه في ٢٨ أيلول (سبتمبر) تنطلق من الموقع نفسه.

ان العراق يريد أن تنتهي الحرب اليوم قبل الغد... لأنه يشعر بالمسؤولية ازاء شعبه وقواته المسلحة... وازاء الأمة العربية... وازاء المنطقة وأمنها وسلامتها... ولكن العراق لم يعلن عن رغبته في إنهاء الحرب بأي ثمن كان... انه يريد انهاء الحرب وفق الأسس التي أعلنها الرئيس صدام حسين في ٢٨ أيلول (سبتمبر) وفي الوقت الذي يجد فيه حكام ايران انفسهم مستعدين لقبول تلك الأسس فإن العراق

سيكون سعيداً جداً بنهاية الحرب... اما اذا رغب حكام ايران في الاستمرار... فليكن ذلك... ان العراق قد اضطر الى الحرب... واضطراره هذا لا يعني انه غير قادر على الاستمرار فيها... بل انه قد اثبت هذه القدرة... كما أن الدعوة الى السلم لا تعني العجز عن القتال... وان عدم المبادرة بالحرب لا يعني عدم الاستعداد لها والقدرة عليها.

ان العراق قد قدم مثلاً رائعاً في الحياة العربية... انه لم يبدأ العدوان لكنه بادر بصده عندما اصبح واقعاً محتوماً وأنه لم يرغب بالحرب... لكنه تمكن من خوضها بشجاعة وكفاءة عندما اصبحت محتومة... وانه لم يخطط للحرب لكنه كان مستعداً لها... ففي العراق يبني حزب البعث العربي الاشتراكي والقائد صدام حسين تجربة تختلف عن الآخرين... انها تجربة قوية وشجاعة ومستعدة ومتحسبة لكل الاحتمالات... وتملك ارادة صلبة وحاسمة بقدر ما تمتلك من العقل والحكمة....

لذلك، فإنها قادرة على مواجهة كل الاحتمالات... ومستعدة لكل الخيارات...

لمـــاذا طالـــت الحرب. . . والى متـــى؟

ان اوساطاً كثيرة تتساءل: لماذا طالت الحرب. . . والى متى ستستمر؟

ويتساءل بعض الحريصين بقلق: الى متى يستمر هذا النزيف؟ إن الحرب فعل سياسي وعسكري. . . وإن استمرارها مرهون بالعاملين السياسي والعسكري.

لنبدأ بالعامل العسكري. . . وما يتصل به من جوانب اخرى. . .

بحساب بسيط. . . لو كانت ايران بنفس مساحة العراق وعدد سكانه، فإن ما جرى بين ٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٠ وحتى هذا اليوم من قتال لكان كافياً لإلحاق هزيمة نهائية بها.

لكن ايران بلد تبلغ مساحته اكثر من مليون ونصف مليون كيلومتر مربع. . . والأرض التي تدور عليها المعركة لا

تتجاوز بضع عشرات الألوف من الكيلومترات المربعة. وعندما تغمض القيادة السياسية القابعة في طهران على بعد مئات الكيلومترات عن ميدان المعركة عيونها عن الحقائق العسكرية والسياسية والاقتصادية التي افرزتها المعركة حتى الآن ولا تعترف بالهزيمة الفعلية التي لحقت بها... وهو ما سنتناوله عند بحث الجانب السياسي... فإن الحرب يمكن ان تستمر ويبقى جزء كبير من ايران بعيداً عن آثارها المباشرة الساخنة... وإن كانت كل ايران تعاني اليوم من آثارها غير المباشرة...

اما امكانات إيران العسكرية، فإننا لم ننس ما كان يقال عن الجيش الايراني في عهد الشاه من انه القوة الخامسة في العالم... وما كانت تنشره صحف العالم من الاخبار المثيرة عن صفقات السلاح الضخمة التي عقدها الشاه مع اميركا ومع بلدان غربية اخرى... وحتى مع الاتحاد السوفياتي.

صحيح ان القدرة العسكرية لإيران كانت عند بدء الحرب مع العراق أقل مما كانت عليه زمن الشاه من حيث اكتمال الملاك العسكري ووجود الخبراء والفنيين وصلاحية بعض الأسلحة المعقدة... لكن إيران لم تنته عسكرياً بعد رحيل الشاه بل انها بقيت قوة عسكرية مهمة جداً في المنطقة، وليس من السهل تحطيم كل القدرة العسكرية لإيران...

والأمر المهم في هذا الشأن هو ان العراق الذي ألحق هزيمة عسكرية واضحة بإيران ليس مستعداً للتفريط بقواته العسكرية بحيث يستمر في الحرب بأسلوب يؤدي في النهاية الى تحطيم كل القدرة العسكرية لايران..

فالذي يفعل ذلك كما فعل الحلفاء بألمانيا النازية... لا بد ان يكون هدفه السياسي هو احتلال ايران واجراء عملية جراحية سياسية شاملة فيها. وليس هذا هدف العراق من المعركة مع ايران. إن ما يستهدفه العراق من هذه المعركة هو الدفاع عن نفسه اولاً... واسترجاع حقوقه ثانياً والبرهنة في ساحة المعركة على انه اقوى من إيران وقادر على إلحاق الهزيمة بها ثالثاً... وهذا ما أنجزه فعلاً...

ان طبيعة المعركة التي يخوضها العراق من ناحية والتزام العراق القومي إزاء الصراع العربي- الصهيوني من ناحية اخرى تجعله حريصاً اشد الحرص على الاحتفاظ بقوته العسكرية وعدم التفريط بها في هذه المعركة.. فعلى اهمية المعركة مع إيران وضرورة حسمها بالنصر، فإن العراق مطالب بعد المعركة بأن يستمر القوة العسكرية الرئيسية في المشرق العربي... والجماهير العربية تنتظر منه ان يبقى كذلك. لذلك، فليس من خطة القيادة في العراق إدارة المعركة بالشكل الذي يؤدي الى تدمير كامل القوة العسكرية

لايران... فهذا ممكن... اذا ما فرط العراق بجزء مهم من قدراته العسكرية واذا لم تكن لديه التزامات قومية اساسية في مواجهة العدو الصهيوني...

ومن المفيد أن نقف هنا قليلاً عند الأسلوب العسكري الذي اتبعه العراق في المعركة... فلقد تحدث الكثيرون عن هذا الأسلوب، وقال البعض بأنه يتبع العقيدة القتالية السوفياتية التي توصف بالبطء... وقال البعض الآخر ان العراق حقق اندفاعاً أولياً في بدء الحرب من خلال مباغتة الايرانيين ولكنه عجز عن التقدم عندما استطاعت إيران أن تعيد تنظيم جيشها وتصمد بوجه الهجوم العراقي.

وهذه التفسيرات والأقاويل ترتبط بتلك التي أشرنا اليها عندما تناولنا التفسيرات المزعومة والمزورة عن هدف العراق السياسي من الحرب... فما دامت بعض الأوساط تروج تفسيرات غير صحيحة عن الهدف السياسي، فإن من المتوقع ان تكون تفسيراتها للأسلوب العسكري غير صحيحة ايضاً.

ان استمرار تقدم القوات المسلحة العراقية في الأرض الايرانية امر لا معنى له ما دام الهدف السياسي من الحرب لا يتطلب ذلك... اما عن الاندفاع والتوقف، فإن القوات المسلحة العراقية اثبتت قدرة عالية على الاندفاع نحو أهدافها... لقد بدأ تقدم القوات المسلحة العراقية في عمق

الأراضي الايرانية في فجر يوم ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٠، وفي يوم ٢٨ أيلول... أي بعد خمسة ايام من المعركة، كانت هذه القوات قد احتلت مدينة قصر شيرين ومهران ودخلت المحمرة ووصلت الى مشارف الاحواز وديزفول وعبادان... وكانت تسيطر على اراضٍ في العمق الايراني تزيد على ثلاثين ألف كيلومتر مربع... ومنذ ذلك اليوم... وحتى الآن تقف القوات العراقية على هذه الأرض.

وتتميز هذه الأراضي بكثرة المضائق والكثبان الرملية العالية والهضاب والاهوار والانهار العريضة مثل الكارون والكرخة... وفي كل واحدة من هذه العوارض الطبيعية كانت هناك مقاومة... وفي بعض الأحيان مقاومة ضارية... كما ان المدن التي احتلتها القوات العراقية مثل قصر شيرين ومهران في تلك الايام الخمسة كانت مدناً حدودية محصنة تحصيناً قوياً وهي كأمثالها من مدن غرب ايران كالمحمرة... وعبادان... بمثابة قلاع عسكرية... فقد بنيت هكذا في الخطة العسكرية التي صممها ونفذها الخبراء الاميركان...

وعندما اتخذ القرار السياسي بالدخول في مدينة المحمرة والسيطرة عليها، استطاعت القوات المسلحة العراقية ان تدخلها وان تخوض فيها معركة قتال مدن باسلة وناجحة، وقتال المدن من أصعب انواع القتال... وهو طراز من الحرب لم

تتدرب عليه جيوش المنطقة من قبل... ومنها الجيش العراقي... ولكن عندما كان على الجيش العراقي ان يخوض هذه التجربة خاضها بنجاح... واثبت قدرته... وخلال الأشهر العديدة من القتال حاول الايرانيون اكثر من مرة تنظيم ما أسموه بـ «الهجوم المقابل» فتحطمت هذه المحاولات الواحدة بعد الأخرى... وآخرها واكبرها محاولتهم في ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٨١...

ان العراق ليس له مصفقون في العالم... فهو ليس جزءاً من الكتلة الغربية او الشرقية لكي تهلل اجهزة الاعلام لانجازاته العسكرية الباهرة كما فعلت اجهزة الاعلام الاميركية والصهيونية والغربية التي صورت النصر السهل الذي حققه العدو الصهيوني في عام ١٩٦٧ خلال ستة ايام على قوات لم تقاتل «معجزة عسكرية» في الحروب الحديثة... كما أن الصهيونية العالمية عملت بكل ما تملكه من طاقات اعلامية كبيرة على طمس الانجازات العسكرية العراقية لأنها تعرف بأن ابراز هذه الانجازات سيرفع الروح المعنوية لدى الجماهير العربية والجيوش العربية مما يهدد الكيان الصهيوني الذي أشاع منذ عدوان حزيران (يونيو) وحتى هذا اليوم وبكل الوسائل الأساطير والأكاذيب عن التفوق الصهيوني على العرب في تصميم المعركة وادارتها وفي شجاعة المقاتلين وقدرتهم على استخدام السلاح الحديث... كما ان بعض

حملة الجنسية العربية هم الآخرون يكملون مهمة الصهيونية العالمية في التقليل من شأن المنجزات العسكرية العراقية في المعركة...

على أي حال ان الحقائق لن تخفى الى الأبد ومنجزات الجيش العراقي الرائعة في المعركة مع إيران ستعرف اليوم وغداً بكل ابعادها العسكرية والسياسية والنفسية. اما عن العقيدة القتالية للجيش العراقي... فإن الاوساط التي تتحدث عنها تغفل الحقائق الاساسية... اما بدافع الجهل أو بدافع سوء النية.

ان القول بأن الجيش العراقي يتبع عقيدة عسكرية مستنسخة من جهة اجنبية يعني بأن الأمة العربية عاجزة عن ابتكار عقيدتها العسكرية الخاصة بها... وهذا أمر مقصود... كما ان القادة الفاشلين من حملة الجنسية العربية لا يريدون ان يعترفوا للعراق بهذا الانجاز ايضاً... فهم يرددون مع الجوقة المزاعم عن العقيدة القتالية التي يتبعها العراق...

إن الجيش العراقي من أقدم جيوش المنطقة... فقبل أيام احتفل بعيد ميلاده الستين. ومنذ أن تأسس الجيش العراقي وحتى اليوم... وحيثما ترى امامك منطقة عسكرية عراقية، ترى اسم خالد وقد اطلق على كتيبة واسم سعد على

اخرى واسم القعقاع على احدى الوحدات العسكرية واسم طارق على وحدة اخرى واسم علي على قاعدة جوية. ان إطلاق هذه التسميات على الوحدات والمؤسسات العسكرية في العراق لم يكن موقفاً شكلياً وإنما كان تعبيراً عن حرص عميق لدى الجيش العراقي عبر تاريخه على استلهام التراث العسكري العربي المجيد... وفي بعض الأوقات التي كان فيها الجيش العراقي يعيش حالة صحية ويقوده الضباط القوميون كان هذا الهاجس يتحول الى انجاز على صعيد بلورة العقيدة العسكرية العربية... وعندما قامت ثورة تموز (يوليو) ١٩٦٨ اصبح هذا الهاجس علامة بارزة في نشاط الحزب بين صفوف القوات المسلحة... وهو هاجس يحتل اولوية خاصة في تفكير القائد صدام حسين...

والى جانب ذلك، فإن الجيش العراقي قد تعرف على العلوم والعقائد العسكرية الغربية والشرقية معاً وتفاعل معها... وما زال منفتحاً على العلوم العسكرية العالمية... لذلك ، فإن الجيش العراقي لا يتبع عقيدة مستنسخة من جهة اجنبية... انه يتبع عقيدته العسكرية الخاصة النابعة من تراثه العسكري الحافل ومن التفاعل مع العلوم والعقائد العسكرية الحديثة... وإن معركة «قادسية صدام» ستكون ميدان اختبار رائع لهذه العقيدة وفرصة تاريخية لبلورتها وتطويرها...

ان بعض الأوساط وخصوصاً الصهيونية والمشبوهة منها، كانت تتصور بأنها عندما تروج هذه الادعاءات عن أسلوب عمل الجيش العراقي فإنها قد «تورط» القيادة في العراق في اندفاعات غير محسوبة وغير محددة سلفاً... ولكن هيهات ان يتم ذلك... ان قيادة العراق وقيادة صدام حسين ليست من الطراز الذي يتورط بتأثير ابتزاز اجهزة الاعلام الصهيونية والمشبوهة، انها قيادة تعرف ما تريد... وتحدد الوسائل التي توصلها الى اهدافها بنفسها وبإرادتها الحرة الواعية.

ان الاستمرار في المعركة يعني الاستنزاف.. نعم... فهذا تقدير صحيح ولكن ما العمل؟.

في حديثه الى مجلس الوزراء بتاريخ ٢٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٠، قال الرئيس صدام حسين انه اذا كان هناك حالة حرب بيننا وبين ايران، فإن المواضع الحالية لتواجد القوات العراقية المسلحة هي الحدود العسكرية بيننا وبينها... واذا كان قد فرض على العراق ان يواجه العدوان الايراني، فإن من الأفضل له ان يواجهه وان يواجه الاستنزاف في عمق الاراضي الايرانية وليس على الحدود بينه وبين ايران... هذا واقع مفروض...

ولكن... مع الإقرار بأن الاستمرار في المعركة يستنزف الرجال والأسلحة والموارد ويؤدي الى خسائر في

الممتلكات... فلا بد من الوقوف عند هذه المسألة وبيان مدى خطورتها على الطرفين المتنازعين لأن الحديث عنها بصورة مطلقة يعطي انطباعاً غير دقيق عن واقع الحرب ونتائجها بالنسبة للطرفين...

لقد دخل العراق وإيران حالة الحرب والأوضاع فيهما متباينة... ففي العراق استقرار سياسي... وازدهار اقتصادي... وتجربة قديمة وعلاقات دولية منتظمة... اما ايران، فإن الأوضاع فيها معاكسة تماماً: فقدان للاستقرار السياسي وازمة اقتصادية وقيادات بدون تجربة... وفوضى في العلاقات الدولية...

وبتقدير موضوعي تماماً، يمكننا أن نلخص النتائج التي تترتب على الحرب بأنها بالنسبة للعراق تنحصر في الخسائر.... اما بالنسبة لإيران فإنها لا تنحصر في الخسائر وإنما تصبح .... بل وقد أصبحت خلال الأشهر الماضية فعلاً... ازمات وكوارث...

ان الأوضاع في العراق قادرة على استيعاب خسائر الحرب... فإذا كان فقدان الرجال خسارة محزنة لأي قيادة حريصة على شعبها، فإنها من الناحية الواقعية وبالنسبة لبلد كالعراق متوسط السكان قابلة للتعويض. والعراق حتى الآن لم يستخدم كل طاقته البشرية في الحرب... فهو ما يزال

يتعامل مع الحرب تعاملاً متوازناً... اما في ايران، وبرغم زيادة السكان فيها عن العراق بعدة اضعاف... فإن التعويض عن المقاتلين فيها اصعب لضعف القدرة النسبية على التعبئة من ناحية ولضعف القدرة على التأهيل بصورة اخص.

أما من الناحية الاقتصادية، فإن العراق كان في وضع اقتصادي متين عندما دخل الحرب واستطاع بما يمتلكه من قدرات وخبرات وعلاقات عربية ودولية ان يحافظ عبر المعركة على هذا الوضع... وهذا امر بات معروفاً ولا شك فيه... ومهما طالت المعركة، فليس متوقعاً أن تتغير هذه الحالة....

اما في ايران، فالأمر مختلف... فالأزمة والفوضى الاقتصادية كانت قائمة قبل الحرب وانتاج النفط الايراني تدنى الى اقل من الخمس في ذلك الوقت... وجاءت الحرب لتزيد في هذه الأزمة والفوضى... ومهما حاولت القيادات الإيرانية السادرة في غيّها ان تغمض عيونها عن الحقائق الاقتصادية في ايران، فإنها لا تستطيع ان تستمر في ذلك الى ما لا نهاية... فالتدهور المستمر في الوضع الاقتصادي امر يحفر آثاراً عميقة في القدرة العسكرية... وبالتالي في الأوضاع السياسية والنفسية في إيران...

وقد استفاد العراق استفادة جيدة من علاقاته الدولية

المستقرة والواسعة والمتوازنة في مواجهة متطلبات الحرب العسكرية والاقتصادية وفي إدارتها السياسية... في حين فشلت إيران في هذا الميدان فشلاً ذريعاً...

صحيح ان المسؤولين في إيران لا يقدرون هذه المسألة حتى الآن... ولكن عدم تقديرها لا يعني اطلاقاً عدم تأثيرها في الواقع الايراني وانعكاسه بالتالي على ميدان المعركة...

ان كل هذه الظروف تعني، كما قلنا، ان استمرار المعركة يؤدي الى «خسائر» بالنسبة للعراق... اما بالنسبة لإيران فإنه يؤدي الى مزيد من الأزمات... ومزيد من الكوارث... لكن الى متى سيتمكن حكام طهران من تحمل هذا الوضع؟. ان اي مراقب عاقل لا يستطيع ان يقدر ذلك... لأن الأمور في ايران لا تقدر بالعقل والمنطق... ولكن من المؤكد ان هذا الوضع لن يستمر الى ما لا نهاية... فالحقائق الكبيرة في الحياة لا بد وأن تفرض وجودها في النهاية...

ان بعض الأوساط العربية والدولية حاولت ان توهم بأن الوضع في إيران يمكن ان يتغير تغييراً جوهرياً بعد حل مسألة الرهائن وتدفق الأموال المحجوزة على إيران... كما ان اوساطاً اخرى تتكهن بأنه في حالة حدوث تغيير من داخل النظام في إيران أو من خارجه... فإن المعادلة ستنقلب لصالح ايران ضد العراق...

اننا لا ننكر ان لهذه العوامل تأثيرها في الموقف السياسي والعسكري... ولكن وبكل موضوعية نستطيع ان نؤكد بأنها لن تؤدي الى تغييرات جوهرية وسريعة...

ان ما حدث في ايران بعد مجيء خميني الى السلطة وخلال فترة الحرب لم يكن «كسراً» يمكن ان «يجبر» خلال أسابيع. ولم يكن «نقصاً» يمكن أن «يعوض» خلال أيام أو أسابيع أو اشهر... انه عملية «تفتيت» وعملية التفتيت لا تعالج إلا عبر مخاض طويل... ومع افتراض توفر القيادات السياسية الواعية والقادرة على العلاج... وتوفر العوامل الموضوعية الملائمة لذلك، فإن «الفرسان» الذين يتصورون بأنهم يمكن أن يغيروا المعادلة القائمة خلال وقت معين بعد حل قضية الرهائن... أو من خلال تغيير النظام من داخله أو من خارجه سيصطدمون بجدار الحقائق الموضوعية... وسيعرضون بلادهم... اذا ما أرادوا استمرار القتال بهدف تغيير المعادلة القائمة حالياً في الصراع بين العراق وإيران، الى مزيد من الأزمات والكوارث... وسيرتكبون بحقها إثماً لا يقل عن الإثم الذي ارتكبه خميني بما حمله من أحقاد... وجهل... وقصر نظر في التعامل مع القضايا الأساسية التي نشأت بعد الثورة وخصوصاً في العلاقات مع العراق والأمة العربية...

ولكن ما هي العوامل السياسية التي تجعل حكام طهران

يصرّون على انكار الهزيمة والاستمرار في الحرب ورفض دعوات العراق السلمية؟.

ان المشكلة الاساسية في الوضع القائم في ايران هي ان كل القيادات الايرانية وخصوصاً خميني ومعه عدد كبير من القادة قد اطلقوا منذ تسلمهم السلطة في ايران شعارات... وتعهدوا بالتزامات أمام بعضهم البعض... وامام الجماهير الايرانية اكبر بكثير وبنسبة هائلة من قدراتهم الفعلية...

والمشكلة الاخرى المرتبطة بالاولى هي ان هؤلاء القادة منقسمون ومتصارعون فيما بينهم بحيث ليس أمامهم أي فرصة جدية لتدارس الأوضاع فيما بينهم بصورة عقلانية ومسؤولة... لكي يعيدوا حساباتهم ويعيدوا تحديد شعاراتهم وتعهداتهم السابقة بشكل ينسجم مع واقعهم ومع امكاناتهم الفعلية...

ان هذين العاملين يؤديان الى مزيد من الوهم... والانزلاق الى الهاوية بدلاً من ان تدفعهم تجربة الحرب مع العراق الى مزيد من التعقل والموضوعية...

وقد ظنت بعض الاوساط ان الحرب مع العراق ستؤدي الى توحيد القيادات والكتل المتصارعة في ايران... ولكن تقديرات هذه الاوساط خابت... فبعد فترة قصيرة من التضامن السطحي بين الحكام في طهران طفت الخلافات

العميقة مرة اخرى على السطح واتخذت طابع الصراع الحاد.

وفي هذا الجو من الصراع يصعب على اي قائد أو تيار ان يتحدث بعقل وموضوعية... لأنه يخشى ديماغوجية الآخرين... لذلك، يضطر الى المزاودة عليهم... وهذا ما يحصل في إيران منذ الحرب وحتى اليوم... فكل طرف يخشى ان يتهمه الآخر بالتخاذل أو الجبن... أو التفريط.. لذلك، فإنه يتحدث بلغة اكثر تطرفاً من الآخر... حتى صار التقييم الفعلي للقيادات في إيران هو: متطرف... واكثر تطرفاً... وليس متطرف ومعتدل... كما يقال في بعض الاوساط الصحفية والسياسية.

وفي غمرة المواقف اللاموضوعية هذه، كانت حصة العراق هي الأكبر... فالقادة الايرانيون قبل الحرب وفي مراحلها الأولى استهانوا بالعراق وقدراته السياسية والعسكرية واطلقوا تهديدات... وقالوا كلاماً بحيث صار اقرب الى المستحيل بالنسبة لهم ان يعترفوا الآن بالحقائق...

لقد كانوا يعدون الايرانيين بأنهم قادرون على سحق العراق... فبني صدر يقول بأنه لا يستطيع ان يمنع قواته اذا ما تحركت تجاه الغرب من الزحف الى بغداد... ورئيس الاركان يقول ان الجيش العراقي ليس سوى «حشرة» امام الجيش الايراني الذي هو «غول»... ووزير الدفاع فاكوري

قال في بداية الحرب بأن العراق سيمحى من الخريطة . . . اما رجال الدين، فقد كانوا يخطبون في الجماهير الايرانية ويقولون بأن الله معهم وانه سينصرهم على العراق. وراحوا ينشرون الاخبار عن غليان الشعب في العراق ضد النظام. . . وعن تمرد القطعات العسكرية ضد القيادة. . قصص وأساطير ليس لها أول وليس لها آخر.

فكيف يمكن ان يواجه خميني وبني صدر ورئيس الاركان ووزير الدفاع ورجال الدين والآخرون شعوب إيران اليوم ويقولون لها اننا مخطئون في تقديراتنا. . . وان العراق قوي. . . وان النظام في العراق قوي. . . وإننا غير قادرين على ازاحة القوات العراقية. . . وغير قادرين على تغيير النظام. . . لو كانوا موحدين ومتفاهمين ومتحابين، فلربما استطاعوا وبعد جهد جهيد ان يقولوا هذا الكلام أو شيئاً منه، اما وهم متصارعون كل واحد منهم يتربص بالآخر للايقاع به. . . فمن الصعب جداً ان نتوقع منهم قول الحقيقة أو التعامل معها. . . لذلك، نراهم يعاندون. . . ويكابرون، ويستمرون في موقفهم اللاموضوعي الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً. . .

لهذا السبب، عجزت كل محاولات الوساطة التي قامت بها الاوساط الدولية حتى الآن في الحصول على موقف سياسي

محدد ومعقول من الجانب الايراني، لكي يمكن بناء تسوية سلمية على اساسه... في حين كان موقف العراق يتسم بالبساطة والوضوح...

ان أي حل سياسي لا يمكن الوصول اليه إلا إذا توفر في البداية كشرط بديهي عاملان اساسيان في ايران... كما هما متوفران في العراق: وحدة القيادة السياسية وفهم موضوعي ودقيق لواقع الحال على الصعيد السياسي والعسكري والاقتصادي... هذان شرطان بديهيان... وبعدهما تأتي ظروف وعوامل أخرى... ولكن قبل توفر هذين الشرطين... وهما غير متوفرين في إيران حتى الآن... فإن الحل السياسي يبقى صعباً جداً.

الصـــراع العراقي ـ الايرانـــي
والصراع العربـــي ـ الصـهيـــوني

ان بعض الاوساط العربية قد بنت موقفها في انتقاد العراق لدخوله الحرب مع إيران. . . بل ان البعض من هذه الاوساط قد برر انحيازه السافر لإيران في هذا الصراع بادعاء ان الصراع العراقي ـ الايراني يؤدي الى احدى النتائج التالية أو الى كلها:

ـ اضعاف العراق وبالتالي خروجه من المواجهة مع العدو الصهيوني.

ـ تصغير شأن القضية الفلسطينية وانتقالها من القضية رقم (١) في المنطقة الى قضية تأتي في المرتبة الثانية من الاهتمام الدولي بعد الصراع العراقي ـ الايراني.

ـ خسارة إيران كحليف للأمة العربية في صراعها مع العدو الصهيوني والامبريالية.

وفي هذه المحاولة سنناقش جميع هذه الاحتمالات. . .

هل يؤدي الصراع العراقي الايراني الى اضعاف العراق مما يؤثر سلبياً في دوره في المواجهة ضد العدو الصهيوني؟.

قبل الاجابة عن هذا السؤال بكل جوانبه... لا بد وان نسأل أولاً: هل ان الذين يحذرون من هذه النتيجة والتي يبدو من تحذيرهم هذا حرصاً على دور العراق قد تصرفوا إزاء النزاع بين العراق وايران بالشكل الذي ينسجم حقاً مع هذا الحرص؟

ان للاجابة عن هذا السؤال أهمية كبيرة... فبصرف النظر عن تأثير الصراع في دور العراق هذا... وهو ما سنتناوله بالتأكيد... يمكننا من خلال استعراض المواقف التي اتخذتها الأطراف التي تحذر من هذه النتيجة معرفة نواياها الحقيقية. وفي هذه المحاولة، سنركز بالدرجة الاولى على مواقف مجموعة الدول والمنظمات والاحزاب التي تنضوي تحت اسم مجموعة «جبهة الصمود والتصدي».

منذ وصول خميني وجماعته الى السلطة في إيران، كان معروفاً لجميع اطراف ما يسمى بـ جبهة «الصمود والتصدي» دولاً ومنظمات واحزاباً... ان النظام الجديد يكن العداء للعراق... وبالنسبة الى احد اطراف هذه الجبهة، وهو النظام السوري، فقد كان يعرف هذا في الوقت الذي كان مرتبطاً فيه مع العراق بميثاق العمل القومي الذي يفترض انه كان

مقدمة للوحدة بين القطرين مما يجعل اي عداء للعراق عداء لسوريا ايضاً.

ولكن كل اطراف «الصمود والتصدي» ومنها النظام السوري لم تكترث في البداية لظاهرة عداء النظام الايراني للعراق... وتعاملت معها وكأن الأمر لا يعنيها، بل ان النظام السوري ، وفي ذلك الوقت بالذات، كان حريصاً جداً على توثيق علاقاته الثنائية الخاصة مع النظام الايراني...

ثم بدأ النزاع بين ايران والعراق يتطور... حرباً إعلامية... محاولات تخريب في داخل العراق... صدامات على الحدود... الخ.. حتى تطورت الأوضاع الى حالة الحرب الشاملة في ايلول (سبتمبر) ١٩٨٠... فماذا فعلت اطراف جبهة «الصمود والتصدي» طوال اكثر من سنة ونصف السنة لتطويق هذا النزاع حرصاً منها على دور العراق في الصراع العربي الصهيوني؟.

إن الحقيقة التاريخية هي ان اياً من اطراف جبهة الصمود والتصدي، عدا منظمة التحرير الفلسطينية، لم يبذل أي جهد لتطويق النزاع بين ايران والعراق... ان السيد ياسر عرفات وحده من بين أطراف هذه الجبهة حاول مرة واحدة ان يتحدث الى الإيرانيين،لكن الإيرانيين كانوا سادرين في غيهم، فلم يستمعوا اليه... بل انهم كانوا يعجبون

لحديثه هذا منطلقين من الافتراض بأن على منظمة التحرير الفلسطينية ان تقف الى جانبهم في نزاعهم مع العراق...

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل ان اطراف جبهة الصمود والتصدي مثل سوريا... والجزائر.... وليبيا والاحزاب والمنظمات السائرة في هذا الاتجاه كانت تحاول بكل الوسائل توثيق علاقاتها مع إيران والتقرب من السلطة الجديدة فيها وكيل كل انواع المدائح لها... ولم تبذل اثناء ذلك أي جهد لتقديم النصح لايران بعدم تكرار ما حصل في عهد الشاه من اشغال للعراق عن واجباته القومية. بل ان طرفين من اطراف هذه الجبهة على اقل تقدير وهما سوريا وليبيا صارا يبديان انحيازاً واضحاً لايران على الصعيدين السياسي والاعلامي في نزاعها مع العراق... فهل يعتبر «حرصاً قومياً» حقاً ان ينتقد العراق الآن على افتراض ان صراعه مع ايران يؤدي الى اضعاف دوره في المواجهة مع العدو الصهيوني في الوقت الذي لم يبذل الذين يوجهون هذا النقد أي جهد لتطويق هذا الصراع وتجنيب العراق آثاره الضارة؟.

ان الذي يحرص على دور العراق في الصراع العربي الصهيوني يجب ان يحرص قبل ذلك على العراق... فلا يمكن الجمع بين الحرص على دور العراق وعدم الحرص على العراق في آن واحد... فماذا يعني هذا الموقف؟... انه يعني، في

أقل تقدير، ان اصحابه يبحثون فقط عن ذريعة لعدم التضامن مع العراق، اما بالنسبة الى البعض الآخر، فإنهم يستخدمون هذه الحجة المتهافتة للعمل ضده والتحالف مع ايران... فهل هذا موقف يصب في «الصمود» ضد العدو الصهيوني وفي «التصدي» له؟.

ولنعد الى التاريخ... لقد كان هناك نزاع بين العراق وإيران في عهد الشاه... والشاه كما تقول كل اطراف جبهة الصمود والتصدي كان عميلاً لاميركا وحليفاً للكيان الصهيوني وعدوّاً للعرب.. . فهل وقفت الدول والاطراف التي تشكلت منها جبهة «الصمود والتصدي» الى جانب العراق في نزاعه مع ايران في عهد الشاه ولو بالكلام لكي نفهم عدم وقوفها معه، بل ووقوف البعض منها ضده... في هذا الوقت الذي يزعم فيه بأن إيران حليفة للعرب ومعادية للكيان الصهيوني؟.

الجواب لا... ان اي دولة من اطراف جبهة الصمود والتصدي... ومن احزابها وحركاتها لم تصدر حتى بياناً طوال الفترة الواقعة بين عام ١٩٦٩ و ١٩٧٥ يدين ايران الشاه لتحرشها بالعراق وتدخلها في شؤونه الداخلية... ودعمها لحركة البارزاني التي ثبت ارتباطها بأميركا والعدو الصهيوني... بل ان هذه الدول والاطراف نفسها كانت

تنتقد العراق ايضاً كما تنتقده اليوم متهمة إياه بأنه «يشغل» نفسه بالقضية الكردية والنزاع مع ايران على حساب دوره في الصراع ضد العدو الصهيوني. . .

واكثر من هذا. . . فباستثناء ليبيا التي كانت تشن حملات اعلامية على نظام شاه ايران، فإن دول جبهة «الصمود والتصدي» كانت حريصة على اقامة علاقات مع ايران الشاه. . . فالجزائر كانت لها علاقات ممتازة مع نظام الشاه. وكانت سوريا حريصة على اقامة علاقات طيبة معه. . . بل ان سوريا حصلت على قرض من نظام الشاه بمبلغ ١٥٠ مليون دولار وبدون فوائد في أيار (مايو) ١٩٧٤ اثر زيارة كان قد قام بها وزير التجارة الخارجية السوري محمد العمادي لطهران في آذار من نفس العام. . . وكان ذلك في أوج النزاع بين العراق وإيران الشاه. . .

واذا أردنا أن نستخلص استنتاجاً من هذه المواقف في عهدي الشاه وخميني، فإن الاستنتاج المنطقي الوحيد هو ان مواقف أطراف ما يسمى بجبهة الصمود والتصدي من النظام في العراق قد انعكست على موقفها من العراق ومصالحه الوطنية وعلى أمنه الوطني وعلى دوره في القضية الفلسطينية. ان اطراف هذه الجبهة لم تنصر العراق بدافع قومي ضد إيران الشاه ولم تنصره ضد ايران خميني. وفي الحالتين، كانت تتذرع

بدور العراق في القضية الفلسطينية. هذه هي الحقيقة... والحقيقة الأخرى هي ان بعض اطراف الجبهة تتصرف من منطلق اقليمي في تعاملها مع إيران سواء في عهد الشاه أو عهد خميني في الوقت الذي تريد من العراق ان ينفي مصلحته الوطنية نفياً كلياً بحجة الحرص على دوره في الصراع العربي-الصهيوني... فهذه الاطراف لم تجد أن الواجب القومي يحتم عليها الانحياز الى العراق في زمن الشاه لأن مصالحها الاقليمية، وليس المصلحة العربية ومصلحة النضال ضد العدو الصهيوني كما يقال اليوم، لم تكن تتطلب ذلك.

اما العراق فعندما يطالب إيران بحقوق «وطنية» و «قومية»... مشروعة فيقال له... ان ذلك يضعف الموقف القومي في مواجهة العدو الصهيوني.

ان الذي يتحدث عن الموقف القومي يجب ان يكون «قومياً»، وليس من المنطق ان يقاس موقف العراق وفق منطق قومي، في حين ينطلق اصحاب هذا المقياس من موقف قطري... وهذا لا ينطبق على موقف بعض الانظمة المعروفة فحسب... وإنما ينطبق ايضاً على موقف بعض المنظمات الفلسطينية... التي لا تجد في النزاع القائم سوى انه وضع القضية الفلسطينية في الدرجة الثانية بعد ان كانت في الدرجة الاولى... فهل هذا الموقف هو موقف قومي حقاً أم موقف

أقليمي؟. هل يجوز ان يطلب من العراق ان يضع ثقله البشري والعسكري والاقتصادي الى جانب القضية الفلسطينية بدافع قومي... ثم عندما يتعرض العراق الى عدوان من إيران ويضطر لصده يقال له اخطأت... انك قد وضعت القضية الفلسطينية في مرتبة ثانية...

هل هذا هو منطق القومية العربية ومنطق وحدة المصير العربي؟ ان على الذين يتحدثون عن الصراع العراقي - الايراني وينتقدون موقف العراق ان يقولوا لنا من هم؟ وماذا يمثلون؟ ومن أية عقيدة ينطلقون؟ فاذا كانوا قوميين، فللقومية مقاييس نحاسبهم بموجبها كما يحاسبوننا بموجبها. اما اذا كانوا اممين، فسيكون واضحاً كيف نتعامل معهم... اما ان يكونوا اقليميين في عقيدتهم ومنطلقهم في التعامل مع الاحداث والدول، فعندئذٍ لا يحق لهم ان يتحدثوا عن «القومية العربية»، وعن الواجبات القومية فذلك امر يترك للقوميين فقط...

اما عن الافتراض الثاني بأن النزاع يؤدي الى خسارة ايران في المعركة ضد العدو الصهيوني، فلا بد من الوقوف عند بعض الحقائق الموضوعية.

ان دور ايران في الصراع ضد العدو الصهيوني كان حتى

اندلاع الحرب بين ايران والعراق دوراً «مفترضاً» ومبنياً على تصريحات ووعود ربما كانت ستتحقق أو لا تتحقق... ولكن دور العراق في الصراع العربي الصهيوني ليس دوراً مفترضاً... بل دور فعلي وملموس منذ عام ١٩٤٨ وحتى هذا اليوم... فالعراق قد شارك في الصراع المسلح مع العدو الصهيوني الى جانب مشاركته السياسية والاقتصادية والاعلامية فيه. وبعد خروج مصر من معركة المواجهة مع العدو الصهيوني بعد اتفاقيات كامب ديفيد، اصبح العراق القوة العسكرية الرئيسية في المواجهة معه... وفي كل التقديرات لا يمكن خوض مواجهة عسكرية تتوفر فيها شروط الحد الأدنى من النجاح مع العدو الصهيوني بدون المشاركة الفعالة للعراق... بل حتى في عام ١٩٧٣ ومع وجود مصر بكل ثقلها في المعركة العسكرية اثبتت التجربة انه بدون مشاركة العراق الذي استبعدته القيادتان المصرية والسورية من حساباتهما في ذلك الوقت، لم يكن ممكناً التصدي للعدو الصهيوني... فلولا مشاركة العراق الفعالة والسريعة لانهارت الجبهة السورية.

وبالحسابات العملية يكون مفيداً طبعاً ان يضاف دور إيران في الصراع العربي الصهيوني الى دور الاقطار العربية الأخرى اذا كان لها حقاً دور مهم في هذا الصراع. ولكن عندما يطرح النظام الايراني دوره «المفترض» في هذا الصراع

بطريقة «تلغي» دور العراق بكل حجمه واهميته الواقعية هذه، فهل يكون مقبولاً الانحياز الى ايران ضد العراق في الحرب وبحجة عدم خسارة دور ايران في الصراع العربي الصهيوني؟ ومن مَنْ؟ من سوريا التي يحتل الكيان الصهيوني ارضها، ويفترض في حاكم دمشق بدافع وطني قبل الدافع القومي ان يحرر تلك الأرض... ومن بعض الأوساط الفلسطينية التي تردد هذه النغمة نفسها... فبأي منطق تؤخذ المواقف؟ انه بالتأكيد ليس منطقاً قومياً... وحتى من الزاوية السياسية العملية ليس هناك أي سند لمثل هذا الموقف المنحاز لإيران ضد العراق...

ان التفسير الوحيد لهذا الموقف الذي يتخذه النظام السوري وبعض المنظمات الفلسطينية هو ان اصحابه قد غلّبوا حقدهم على النظام في العراق ليس على المصلحة القومية العليا فحسب... وانما على المصالح الوطنية لأقطارهم المحتلة. انهم، بهذا الموقف، لا يطعنون القومية العربية فحسب وإنما يطعنون في الصميم ايضاً «الوطنية» السورية و«الوطنية» الفلسطينية!.

ان الذين يتحدثون عن دور العراق في الصراع العربي - الصهيوني ويخشون من آثار الصراع العراقي - الايراني على هذا الدور... عليهم أن يحددوا أي عراق يقصدون.

ان الدول والكيانات ليست حالات مجردة يمكن التعامل معها بدون خصائص... فالعراق قد يكون له ادوار مختلفة في الصراع العربي ـ الصهيوني باختلاف الاوضاع التي يمر فيها، وكذلك... مصر... وسوريا... وغيرهما... فهل ان دور مصر في الصراع العربي ـ الصهيوني في عهد عبد الناصر هو دورها نفسه في عهد السادات؟ وهذا المقياس ينطبق على العراق ايضا كما ينطبق على مصر وغيرها من الاقطار العربية.

ان العراق يكون له دور مهم وفعال في الصراع العربي ـ الصهيوني عندما يكون في الحكم فيه نظام وطني وقومي اولا... ونظام مستقر وقوي ثانيا... ونظام قادر على تعبئة طاقات العراق السياسية والبشرية والعسكرية والاقتصادية ثالثا... وبدون ذلك لا يمكن الحديث عن دور مهم وفعال له في الصراع العربي ـ الصهيوني... ففي عهد عبد الرحمن عارف قام العدوان الصهيوني على الامة العربية في عام ١٩٦٧، وعلى الرغم من ان ذلك النظام كان يعتبر نفسه حليفاً او صديقاً لنظام مصر ووقف موقفاً رسمياً الى جانب مصر وسوريا ضد الكيان الصهيوني، فقد عجز عن ايصال قواته الى جبهة القتال قبل ان يعلن وقف اطلاق النار... ولكن في عام ١٩٧٣ وفي ظل حزب البعث العربي الاشتراكي استطاع العراق وفي اليوم الثاني من بدء المعركة أن يوصل

الجبهة السورية وان يقاتل قتالا فعالاً ويحمي تلك الجبهة من الانهيار...

ثم قامت الحرب بين العراق وايران... فماذا كانت مواقف الذين يدعون الحرص على دور العراق في الصراع العربي الصهيوني من هذه الحرب؟

ان النظام السوري الذي يحتل الكيان الصهيوني ارضه منذ اكثر من ثلاثة عشر عاما والذي يدعوه الواجب الوطني وقبل الواجب القومي الى تحرير ارضه المحتلة على اقل تقدير والذي يحتاج في ذلك الى قوة العراق العسكرية كما حصل في عام ١٩٧٣ بل واكثر مما حصل في عام ١٩٧٣ بسبب خروج مصر من المواجهة العسكرية بعد كامب ديفيد... ان هذا النظام وقف علانية وصراحة في الحرب الى جانب ايران ضد العراق بل وقدم مساعدات عسكرية لايران في هذه الحرب... وتنشر صحافته بتشفي الانباء عن الخسائر التي يتعرض اليها جيش العراق في المعركة في حين تنشر بزهو انباء الانتصارات الايرانية المزعومة... فهل هذا موقف «قومي» ينطلق من الحرص على دور العراق في الصراع ضد الصهيونية مهما كان الكره للنظام في العراق ومهما كانت الآثار التي سيتعرض اليها كنتيجة للحرب؟ ان الحقيقة البسيطة تشير الى انه اذا ما خسر العراق المعركة مع ايران... وهو ما يفترضه

تحالف سوريا مع ايران من نتيجة، فان ذلك يعني تدمير القوة العسكرية للعراق... فهل في هذا «ربح» للنظام السوري اذا كان نظاماً قومياً كما يدعي... واذا كان يريد حقاً تحرير الجولان السورية على اقل تقدير؟

وهناك موقف اخر هو موقف النظام في الجزائر.. ان الجزائر تقول انها محايدة في الصراع بين العراق وايران، باعتبار ان العراق بلد عربي وايران بلد اسلامي وهي لا تحبذ القتال بينهما وبنفس الحجج.

ولكن هل الجزائر محايدة فعلاً؟ اننا لا نتهم الجزائر بالانحياز... لكن هناك تساؤلات لا بد وان تطرح في هذا الشأن:

ان الجزائر بذلت جهوداً دبلوماسية حثيثة جداً وبصورة استثنائية في حل مسألة الرهائن... وهي مسألة معقدة سببت الكثير من الصداع لمن خاض فيها... فهل بذلت الجزائر جهوداً مماثلة قبل الحرب بين ايران والعراق من أجل تجنيب هذين البلدين «الصديقين» آثارها الضارة... ثم ماذا يعني حل مسألة الرهائن؟

ان ايران كانت تقول بانها تصطدم بأميركا من خلال احتجاز الرهائن وتعاقبها على تصرفاتها بحق ايران في عهد

الشاه.. وحل مسألة الرهائن يعني ازالة عقبة كبيرة من أمام العلاقات الايرانية ـ الاميركية.. فهل من مصلحة الصراع العربي ـ الصهيوني ان تزال عقبة كبيرة من أمام العلاقات الايرانية ـ الأميركية؟. ان الذين يزعمون بان لايران دوراً في الصراع العربي ـ الصهيوني لصالح العرب قد بنوا مواقفهم على جملة عوامل من أهمها التصادم الايراني ـ الأميركي؟!.. فهل ينسجم موقف النظام الجزائري من مسألة الرهائن مع الخط السياسي المعلن لجبهة الصمود والتصدي الذي يدعو الى حشد كل الطاقات وتعبئة الموقف السياسي في كل الوطن العربي والمنطقة ضد الأمبريالية الأميركية صاحبة مشروع كامب ديفيد وحامية الكيان الصهيوني؟!..

والآن نعود الى السؤال الرئيسي.. هل يؤدي الصراع العراقي ـ الايراني الى اضعاف العراق وبالتالي التأثير سلبيا على دوره في الصراع ضد الكيان الصهيوني؟!..

كما قلنا سابقا ان العراق لا يستطيع ان يلعب دوراً فعالاً في الصراع ضد الكيان الصهيوني اذا لم يكن قوياً ومستقراً.. الى جانب شروط اخرى ذكرناها..

وان موقف النظام الايراني من العراق لم يقتصر على اغتصاب حقوق العراق في أرضه ومياهه وفي اغتصاب الجزر العربية الثلاث في الخليج العربي وإنما تعداه الى محاولة اسقاط

النظام القومي والثوري فيه ونشر التجربة الخمينية فيه ايضاً..

إن النتيجة المنطقية، وكما ذكرنا سابقاً، لنجاح المشروع الخميني هو تجريد العراق من عاملين اساسيين من العوامل التي تمكنه من تأدية دور فعال في الصراع العربي- الصهيوني وهما: الاستقرار والقوة... فليس هناك من يجادل بأن تغيير النظام في العراق وفق مشروع خميني سيؤدي الى هذه النتيجة... فهذه النتيجة موجودة في إيران... وفي حالة تصدير التجربة الخمينية الى العراق ستكون النتائج اخطر بكثير من الحالة السائدة في إيران...

فالعراق عندما يقاتل ايران دفاعاً عن حقوقه الوطنية وعن الحقوق القومية يدافع في الوقت نفسه عن استقراره... كما يدافع للحفاظ على قوته... ومهما خسر العراق في هذا الصراع من قوة نسبية في الرجال والاسلحة والأموال، فإن النتيجة في حالة انتصاره في المعركة من زاويتي القوة والاستقرار ستكون افضل بكثير من النتيجة التي يمكن ان تتحقق في حالة استسلام العراق لمشروع خميني بتصدير الثورة المزعومة اليه، وهذا يعني من الناحية العملية ربحاً نسبياً لصالح دور العراق في الصراع العربي الصهيوني وليس خسارة... لأن الخسارة الكبيرة هي في نجاح مشروع خميني وليس في التصدي الفعال لهذا المشروع حتى ولو كان بالوسيلة العسكرية.

ومن الجانب الآخر، فإن من اكبر الأخطاء التي ترتكب في تقييم المعركة العسكرية بين العراق وإيران هي التركيز على زاوية الخسائر النسبية الناجمة عن المعركة.

ان نتائج الحرب كعملية كبيرة لا تحسب من هذه الزاوية الرقمية فحسب... فهي عامل واحد من الصورة الكاملة... ولكي نفهم هذا الجانب، علينا أن نعود الى طبيعة المواجهات العسكرية السابقة مع العدو الصهيوني... ففي عام ١٩٦٧ خاضت الاقطار العربية الثلاثة مصر وسوريا والأردن المعركة العسكرية بعد ان كانت قد أمضت سنوات عدة في بناء قدرتها العسكرية ولكنها هزمت في معركة لم تتجاوز الستة أيام... ولقد قيل الكثير في أسباب الهزيمة. واذا تركنا جانباً المجالات السياسية والفكرية، فإن من الأسباب المتفق عليها:

١) عدم امتلاك القدرة على المبادأة بالحرب.

٢) ضعف التدريب وعدم القدرة على استخدام السلاح الحديث في مواجهة الأسلحة الصهيونية الحديثة.

٣) النقص في التجهيزات العسكرية وفي انواع معينة من السلاح.

٤) النقص الفادح في الوسائل الادارية بكل فروعها المعقدة في الحرب.

٥) الاعتماد شبه الكلي في الحرب على التحالفات الدولية.

وفي المعركة التي خاضها العرب عام ١٩٧٣ ، تحسن الوضع قليلاً عن معركة عام ١٩٦٧ فامتلكت القوات العربية قدرة المبادأة واستخدمت أسلحتها بصورة افضل نسبياً من عام ١٩٦٧.... كما كانت الجوانب الاخرى افضل ايضاً... ولكن المعركة على الرغم من أهميتها المعنوية والسياسية والعسكرية، لم تنته بنصر عسكري... ففي الجبهة المصرية حدث الخرق المعروف بالدفرسوار . كما عجزت القوات المصرية عن الاستمرار في التقدم في سيناء... وفي الجبهة السورية كان هناك نقص فادح واخطاء مميتة... ولم تستطع قوات سوريا ومصر الاستمرار في القتال اكثر من اسبوعين... لجأت بعدها الى وقف اطلاق النار والمفاوضات من دون ان تفرض على العدو الصهيوني وضعاً تفاوضياً فيه رجحان للكفة العربية...

واذا كان مقدراً على الأمة العربية ان تخوض اليوم أو غداً معركة عسكرية اخرى ضد العدو الصهيوني ، فكيف يمكن ان نتصور المسألة؟.

ان مصر قد خرجت من المعركة كلياً في الوقت الحاضر.... وحتى في حالة افتراض عودتها الى ساحة

المواجهة العسكرية، فإن القوات المسلحة المصرية ستحتاج الى عدة سنوات لإعادة بناء نفسها بعد التخريب الذي احدثه نظام السادات في قدراتها القتالية وبسبب تخلفها عن التطور في الأسلحة الحديثة التي تدفقت على العراق وغيره من الأقطار العربية في السنوات الاخيرة بعدما قطع السادات مصادر تسليحه التقليدية من الاتحاد السوفياتي من دون ان يحصل على تعويض جدي بأسلحة مماثلة في الكمية والكفاءة من حلفائه الاميركان.

ان هذا يعني ان الجيش العراقي سيتحمل العبء الأكبر في المواجهة المقبلة مع العدو الصهيوني الى جانب الجيش السوري والجيش الاردني والمقاومة الفلسطينية وأية قوات عسكرية عربية اخرى يمكن ان تشارك في المعركة.

وليس مسموحاً ابداً ان تدخل الأمة العربية في معركة عسكرية اخرى وأن تهزم كما حدث في عام ١٩٦٧... كما ليس مسموحاً أبداً ان تخرج منها من دون ان تفرض واقعاً جديداً وقوياً في ميزان الصراع كما حدث في عام ١٩٧٣.... فهي أما ان تدخلها وتحقق نتيجة بارزة تغير موازين الصراع أو لا تدخلها.

فكيف يمكن النظر الى دور الجيش العراقي في المعركة المحتملة مع الكيان الصهيوني من زاوية الحرب العراقية-الايرانية؟.

ان الحرب مع ايران قد فرضت على العراق وهو لم يكن يريدها... ولكنها وقد اصبحت واقعاً فإنها أفضل مناسبة تاريخية لتطوير القدرات القتالية للجيش العراقي ولاكتسابه الخبرة العميقة والشاملة في الحروب الحديثة وضد احدث الأسلحة الاميركية التي هي اسلحة جيش الكيان الصهيوني... هذه قيمة تاريخية كبيرة من الزاوية العسكرية للحرب العراقية- الايرانية...

واذا لم يكن من اختصاصي أن أتوسع في تبيان هذه القيمة، فهذا ما يجب ان يفعله اليوم وغداً المختصون في الدراسات والبحوث العسكرية... فإن المعركة تشير الى النتائج البارزة التالية:

١- اكتساب الجيش العراقي ولأول مرة خبرة قيادة وادارة الحرب الشاملة وبكل الاسلحة البرية والجوية والبحرية وبكل الصنوف. ان هذه الفرصة لم تتح من قبل للجيش العراقي على الرغم من مساهماته العديدة والفعالة في الصراع العربي - الصهيوني... ففي الحروب السابقة مع الكيان الصهيوني كان العراق شريكاً في حروب قادتها اقطار اخرى... وبسبب هذه الطبيعة لم يكن متاحاً امام الجيش العراقي اكتساب الخبرة في قيادة وادارة الحرب الشاملة بهذا الشكل. اما الآن، وبعد اكثر من اربعة اشهر من القتال،

فقد اكتسب العراق هذه الخبرة وبصورة افضل من كل جيوش المنطقة. . . لأن خبرة قتال اربعة اشهر اكبر بكثير من الخبرة المكتسبة في قتال ادى الى هزيمة خلال ستة أيام في عام ١٩٦٧ وفي قتال دام اكثر من اسبوعين بقليل في عام ١٩٧٣!

٢ـ اكتساب الجيش العراقي الخبرة الدقيقة والعميقة في اختبار الأسلحة التي يمتلكها وفي اختبار فاعلية اسلحة العدو. . . التي هي كما قلنا ذات اسلحة الكيان الصهيوني. في الوقت نفسه اكتشاف الحاجة الحقيقية لبعض الأسلحة، تلك الحاجة التي لا تبرز في مرحلة الاستعداد والتدريب.

٣ـ اكتساب الخبرة في تصليح الاسلحة وتصنيعها وتصنيع العتاد وتصنيع قطع الغيار. . . وبالتالي تطوير القدرة الذاتية للجيش ورفع كفاءته الفنية وتطوير الاستخدام الاقتصادي للاسلحة والاعتدة.

٤ـ اكتساب الخبرة الدقيقة والشاملة في تأمين الجوانب الادارية في الحرب. . . وهذه مسألة في غاية الأهمية. . . فلقد كانت من الأمور الاساسية في حربي ٦٧ و ٧٣ وبالنسبة الى الجيش العراقي الذي يبتعد عن ساحة المواجهة مع العدو الصهيوني عدة مئات من الكيلومترات تكتسب هذه الناحية اهمية اساسية.

٥ـ اكتساب الخبرة الدقيقة والشاملة في التعرف الى

اسواق السلاح العالمية، ولذلك اهمية كبيرة في تأمين الاحتياجات العسكرية قبل الحرب وخلالها.

٦ـ ومن الجوانب المهمة جداً ليس من الناحية السياسية فحسب وإنما من الناحية العسكرية ايضاً النجاح في اكتساب الخبرات العملية في خوض حرب واسعة النطاق من دون الاعتماد على الدعم المباشر والفوري لدول كبرى.

صحيح ان المعركة مع العدو الصهيوني تختلف في طبيعة ظروفها السياسية وتحالفاتها عن المعركة مع إيران... ولكن من الضروري ان تستعد الجيوش العربية وتتدرب على خوض المعركة العسكرية مع العدو الصهيوني لفترة طويلة من دون الاعتماد على الدعم الخارجي الفوري والمباشر الذي قد يأتي أو لا يأتي وقد يأتي في ظروف وكميات ونوعيات غير منسجمة تماماً مع الحاجات الفعلية التي تتطلبها ظروف المعركة المتسارعة...

ان اكتساب الخبرة في هذا الجانب يشكل ارضية متينة ليس للاستقلال السياسي فحسب وإنما للقدرة العسكرية العربية المستقلة.

بعد هذه الدروس التي اكتسبها الجيش العراقي في المعركة، لن يخرج من المعركة مع ايران وهو اضعف مما كان... بحيث نخشى على دوره في الصراع العربي

الصهيوني. . . فالجيش العراقي لا يقاتل ايران في الوقت الذي تندلع فيه نيران المعركة مع اسرائيل. . . انه يقاتل بعد ان اسكتت المدافع مع اسرائيل طوال سبع سنوات كاملة. . . لذلك، فإن معركته هذه تكسبه الخبرة القتالية التي يحتاجها والتطور النوعي الذي يحتاجه في المعركة القادمة.

انه في هذه المعركة قد اكتسب شيئين ثمينين: النصر. . . والخبرة. . .

وبهذين العاملين سيكون الجيش العراقي أقوى مما كان قبل الحرب، وسيتمكن من تأدية دوره المطلوب في الصراع العربي ـ الصهيوني.

اما الخسائر الرقمية في المعركة، فالعراق قادر على تعويضها. . . ان العراق والأمة العربية لن يعجزا عن تعويض الرجال الذين فقدوا في المعركة على ما يمثلون من قيمة عالية ومنزلة رفيعة في النفوس، كما لن يعجزا ايضاً عن التعويض على الأسلحة والمعدات التي تتحطم في المعركة. . فهذا امر يسير. . . بل ان نتائج الحرب ستوفر ظروفاً افضل من السابق. . . وخبرات اعمق من السابق في ميدان التسلح العراقي والعربي. . .

جبـــهة الصمـــود والتصـــدي

ليس موضوع هذه المقالات ما يسمى بجبهة الصمود والتصدي... ولكن لا يمكن بحث الصراع العراقي - الإيراني من دون التطرق الى مواقف اطراف هذه «الجبهة»... لأن بعض اطرافها تتخذ مواقف محددة من هذا الصراع... وتبني هذه المواقف على اساس الموقف السياسي المعلن لهذه الجبهة ازاء الصراع العربي- الصهيوني والمسائل الاساسية الاخرى في الساحة العربية.

فما هي المواقف الاساسية والفعلية لأطراف هذه الجبهة من القضايا الرئيسية في الصراع العربي - الصهيوني كي نفهم بالتالي الاسباب الحقيقية لمواقفها من الصراع العراقي الايراني.

ان الصراع العربي - الصهيوني يتطلب في من يريد خوضه بل اتخاذ موقع الصدارة فيه، كما تدعي اطراف هذه الجبهة، ان يتوفر فيه الحد الادنى من الشروط التالية:

١ـ موقف سياسي واضح ومتماسك ازاء الصراع العربي ـ الصهيوني وازاء القوى السياسية الشقيقة والصديقة ذات الصلة المباشرة أو غير المباشرة بهذا الصراع.

٢ـ بناء قوة عسكرية تتناسب مع الامكانات البشرية والاقتصادية لكل قطر.

٣ـ استخدام الموارد الاقتصادية في القطر بالشكل الذي يخدم اهداف المواجهة مع العدو الصهيوني.

٤ـ وجود علاقات سليمة وصحيحة بين الحاكم والشعب من اجل تعبئة الشعب بصورة جدية لجعله قادراً على تحمل كل التضحيات التي تترتب على الصراع الساخن مع العدو الصهيوني والمشاركة الفعالة فيه.

وعلى اساس هذه المقاييس يمكن ان ندرس اوضاع ومواقف بعض اطراف هذه الجبهة.

لنبدأ أولاً بالنظام السوري... ولن نناقش هنا ما يفعله هذا النظام في عملية بناء جيشه فهذا أمر بديهي، ولن نناقش مواقفه من الاطراف الدولية... ولكننا سنركز على عنصر اساسي لا يمكن بدونه توفير ظروف سياسية وعسكرية لمواجهة العدو الصهيوني بصرف النظر عن كل المواقف والشروط الأخرى... سواء توفرت أم لم تتوفر.

ان الحقيقة الاكيدة هي ان سورية لا تستطيع وحدها ان تواجه العدو الصهيوني في معركة عسكرية تنتهي بالانتصار أو بتحقيق رجحان عربي في موازين الصراع الراهنة. . . ان الصيغة القادرة على ذلك هي بالدرجة الاولى قيام تفاهم وتنسيق فعال جداً بين اربعة اطراف رئيسية هي العراق وسورية والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية في الميادين السياسية والعسكرية مع توفر ظروف ملائمة في لبنان. . . واسناد عربي عام سياسي واقتصادي وعسكري. . وبغير ذلك ومهما اقام النظام السوري من علاقات أو تحالفات عربية ودولية لا يمكن له ان يخوض مواجهة جدية مع الكيان الصهيوني. . . ولكن. . . هل ان سلوك النظام السوري السياسي يتجه بهذا الاتجاه الآن ومنذ عدة سنوات؟

ان النظام السوري يعادي العراق وهو القوة الرئيسية في المواجهة ليس في الجانب العسكري وحده وإنما في الجوانب الاخرى ايضاً. . . وينحاز انحيازاً كاملاً الى ايران في حربها معه.

والنظام السوري في صراع حاد مع الاردن الذي يقف على أطول خط مواجهة مع العدو الصهيوني. . . ولا يمكن خوض معركة عسكرية ناجحة ضده من دون توفير موقف عملي فعال على الجبهة الاردنية بهذا الاتجاه، بل ان النظام

السوري حشد قبل اسابيع قواته المسلحة على حدود الاردن مهدداً إياه بالغزو. . .

وقد تصدر بيانات وتصريحات في الظروف الراهنة عن ان العلاقات بين النظام السوري ومنظمة التحرير الفلسطينية هي سمن وعسل. . . ولكن الجميع يعرف الحقيقة وهي ان الثقة مفقودة بين الطرفين. . . والجميع يعرف ايضاً لماذا وكيف تصدر مثل هذه التصريحات والبيانات غير الصادقة.

ومهما كان دور النظام السوري في لبنان فليس هذا مجال الخوض فيه، ولكن الاكيد أنه بعد اكثر من أربع سنوات من دخوله الى لبنان بحجة حماية هذا القطر العربي من التقسيم ومن الوقوع في المخطط الصهيوني فإن الانهيار في لبنان يزداد ومخطط التقسيم يسير والنظام السوري عاجز على الاقل عن التصدي الفعال لهذه الأوضاع ان لم نقل بأنه راغب في استمرارها وإنه كان وما يزال سبباً أساسياً من أسبابها.

وبدلاً من الحرص على علاقات سليمة مع العراق اتجه حافظ اسد الى اقامة وحدة مع ليبيا ما تزال اقرب الى الخيال منها الى الحقيقة. . . اضافة الى ذلك فإن النظام السوري قد اختار لنفسه تحالفاً عربياً سياسياً اسمه «جبهة الصمود والتصدي» ليس فيه من الأطراف الثلاثة الرئيسية التي يمكن ان تشكل اساس المعركة القادمة والتي ذكرناها سوى منظمة التحرير الفلسطينية.

ولربما يقول قائل ان النظام السوري قد حاول التحالف مع الاردن... ومع العراق... ولكنه فشل، وليس أمامه سوى خيار جبهة الصمود والتصدي، ونحن لا نجادل في هذا الآن... فليس هنا مجال للدخول في هذه المجادلة،فقد يكون هذا القول صحيحاً أو غير صحيح كل حسب ما يعتقد، ولكن هناك معايير عقلانية، وموضوعية لقياس الأمور.

ان سورية قطر عربي يحتل الكيان الصهيوني أرضه، وقبل واجباته القومية يترتب عليه واجب وطني سوري هو تحرير الأرض السورية من الاحتلال... فسورية من هذه الزاوية محتاجة الى التحالف مع العراق والى التحالف مع الاردن وحتى لو كان النظام في العراق والاردن «سيئين» كما تقول أجهزة الاعلام السورية. إن حاجة سورية الوطنية تتطلب منها بذل أقصى الجهود والتمتع بأعلى درجات المسؤولية والمرونة من أجل كسب هذين القطرين الى جانبها.

فهل فعلت سورية ذلك؟... وهل صبر حافظ اسد على ادامة علاقاته مع العراق... أو مع الاردن بنفس الطريقة التي صبر فيها سنوات طويلة وما يزال على ادامة علاقاته بالسيد معمر القذافي؟.

وهل يخدم موقف النظام السوري بانحيازه لإيران ضد العراق وحشد الجيوش على الاردن بصرف النظر عن كل

المبررات الهدف الستراتيجي في وقوف هذين القطرين إلى جانب سورية في الصراع مع العدو الصهيوني من اجل تحرير الجولان قبل تحرير فلسطين؟ اننا نطرح هذه الأسئلة على المخلصين والشرفاء من ابناء الأمة وعليهم أن يجيبوا عنها.

ولنأخذ مواقف طرف آخر من اطراف الصمود والتصدي... هو النظام في ليبيا.

ان هناك الكثير مما يمكن ان يقال عن النظام الليبي وعن معمر القذافي. ولكن ليس هنا مجال الخوض فيه. ان المهمة الرئيسية هي كيف نقوم موقف هذا النظام من الشروط الرئيسية التي يجب ان توفر في الأقطار التي تدعي الصدارة في المواجهة مع العدو الصهيوني.؟

فما هو موقف هذا النظام بالضبط، وما هو دوره؟.

ان ليبيا بلد عربي بمساحة كبيرة جداً وعدد قليل من السكان لا يتجاوز بأحسن التقديرات المليوني نسمة، ولكنه في الوقت نفسه يمتلك طاقات مالية اكثر من حجمه وحاجته.

ويستطيع كل حاكم ان يفصل لنفسه الثوب الذي يحلو له وان يعطي لنفسه الأدوار التي يشتهيها، ولكن الواقع هو الواقع.

فماذا تستطيع ليبيا ان تفعل في خدمة الصراع العربي-الصهيوني؟.

ان مساحة ليبيا لا دور فعال لها في الصراع العربي-الصهيوني إلا اذا كانت عمقاً استراتيجياً لمصر، مع العلم ان مصر قطر واسع المساحة وحاجته الى هذا العمق في الصراع مع العدو الصهيوني ليست ملحة كثيراً مثلما هي الحال بالنسبة للعلاقة بين سورية والعراق مثلاً...

وبسبب عدد سكان ليبيا ومستوى الثقافة والتعليم والتطور التكنولوجي فيها فإنها ومهما بذلت من جهود لا تستطيع ان تبني قوة عسكرية ذات تأثير حاسم في المواجهة العسكرية مع العدو الصهيوني... طبعاً ان هذا الكلام لا يعجب السيد معمر القذافي، الذي يدعي الآن انه يسلح شعب ليبيا ويحول كل ليبيا الى معسكر... قد تكون هذه محاولة مخلصة أو جادة... أو لا تكون، ولكن الواقع هو الواقع كما قلنا، ان ليبيا وفي احسن الأحوال ومع توفر الجدية والقدرة العالية لا تستطيع سوى بناء جيش صغير اذا أريد له ان يكون ذا فاعلية معينة في الصراع ضد الكيان الصهيوني. اما حشد عشرات الألوف في الثكنات وإلباسهم الملابس العسكرية فأمر يصلح للتظاهر، ويصلح لمعالجة الاخطار الداخلية، أو لمعركة في تشاد... ولكن لا يصلح لمواجهة ترسانة عسكرية حديثة وقوية جداً مثل الكيان الصهيوني.

هذا من الناحية العسكرية...

... ولكن ليبيا تمتلك قدرات مالية كبيرة وهي العامل الرئيسي الوحيد الذي يمكن ان يستثمر في المعركة سواء بصورة مباشرة أو من خلال استخدامه السياسي... والصورة المباشرة هي الدعم المالي المباشر لسورية والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، والاستخدام السياسي هو تحويل النفط الليبي الى سلاح سياسي ضد العدو الصهيوني وحلفائه...

ولكن في الوقت الذي يتبجح فيه السيد القذافي بكل العوامل التي لا توفر شيئاً جدياً في المعركة مع العدو الصهيوني مثل بناء جيش وهمي... وشراء أكداس من السلاح، وتأليف الكتب، فإنه لا يستخدم العامل الجدي الوحيد المتوفر لديه وهو المال بالطريقة التي أشرنا اليها. فهو لا يدفع المال الى سورية ومنظمة التحرير وهما شريكاه في جبهة الصمود والتصدي... ولم يدفع حتى المبالغ التي ترتبت عليه بموجب قرارات قمة بغداد، لا لسورية ولا للمنظمة ولا للأردن... اما سياسياً فإن نفط ليبيا يخضع لسيطرة الشركات الاميركية التي ما تزال تمتلك ٤٩٪ من الحصص فيه وما تزال تدير كل عملياته الفنية وهي التي تتولى تسويقه كما تشتري منه نسبة كبيرة.

هذا ما يفعله النظام في ليبيا... ولا ننس هنا ان نقول

انه ما من يوم إلا ويصدر تصريح أو يلقى خطاب في ليبيا يطالب بتصفية أو تهديد مصالح الامبريالية الاميركية في المنطقة، مما يوهم بأن هذه المصالح ليست موجودة في ليبيا في حين ان نسبة المصالح الاميركية في ليبيا تأتي في الدرجة الثانية بعد مصالحها في السعودية.

وأخيراً... وفي ١ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٠ القى معمر القذافي خطاباً قال فيه انه يخجل من الأوضاع الراهنة للأمة العربية... وان الأمة العربية لا خير فيها ما دامت تخضع للاحتلال الصهيوني... الخ...

كلام جميل جداً... وبعد هذا الكلام الجميل قال القذافي انه قد اتخذ قراراً حاسمًا.... اما ان يقيم وحدة اندماجية مع سورية من اجل بناء القاعدة الأساسية للمواجهة مع العدو الصهيوني أو يذهب كفدائي الى الجليل ليقاتل مع الفدائيين...

هذا ما قاله السيد معمر القذافي... ونحن الآن في شهر شباط (فبراير) من عام ١٩٨١ ، أي بعد اكثر من خمسة اشهر من كلام السيد القذافي الجميل...

والقذافي لم يذهب الى الجليل...

وهذا مؤكد، ولا نريد ان نقول انه لن يصنع الوحدة

الاندماجية مع سورية التي اعطيت في لقاء الاسد والقذافي في شهر ايلول ١٩٨٠ مهلة شهر واحد لتنفيذها، ولكن المؤكد ان القذافي اعلن الوحدة الاندماجية مع تشاد.

ومن الخدمات السياسية التي يمكن ان يقدمها النظام الليبي في المعركة السياسية مع العدو الصهيوني، تثبيت الجبهة الافريقية المساندة للعرب... فمن المعروف ان اغلبية بلدان افريقيا تساند القضية الفلسطينية وان عدداً مهمًّا منها قطع علاقاته بالكيان الصهيوني... وان الواجب القومي يتطلب أدامة هذا الموقف من خلال تطوير العلاقات مع البلدان الافريقية وتقديم المساعدات لها لكي نشعر بأن العرب يقدرون موقفها ويقابلون الجميل بالجميل.... ولكن هل يفعل السيد القذافي هذا... أم ان سلوكه في افريقيا يبعد بلدان افريقيا عن الأمة العربية ويعقّد علاقاتها بها؟.

اننا لن نقول اكثر من هذا .. ويستطيع كل عربي شريف ومخلص ان يقدر بعد هذا دور نظام معمر القذافي.... العضو في جبهة «الصمود والتصدي» في المعركة مع العدو الصهيوني.

لنأخذ دولة أخرى هي الجزائر...

ان الجزائر قطر عربي كبير المساحة وسكانه اكثر من ١٧

مليوناً . . . اي اكثر من سكان كل من سورية والعراق منفردين . . . وهو ايضاً بلد ينتج النفط والغاز . . .

ان مساحة الجزائر كمساحة ليبيا ليس لها دور فعال في العمق الستراتيجي في الصراع مع العدو الصهيوني. . . ولكن الجزائر بعدد سكانها الكبير وبما تمتلكه من طاقات اقتصادية ومن خبرة قتالية برزت خلال سبع سنوات من حرب التحرير تستطيع ان تبني واحداً من أقوى واحدث الجيوش العربية الذي يمكن ان يساهم في المعركة العسكرية مع العدو الصهيوني بثقل كبير وفعال. ولربما يضطرها بعدها الجغرافي عن ساحة المعركة الى التركيز على انواع معينة من القدرات العسكرية القابلة للانتقال الى ساحة المعركة مثل الطيران وغيره من الاسلحة التي يمكن ان تنقل بصورة اسرع من قوات المشاة أو القوات المدرعة الى ساحة المعركة. . . مع العلم انه حتى مثل هذه القوات يمكن ان تنقل اليها اذا ما كان هناك استعداد وتخطيط بعيد المدى مع دول المواجهة التي ترتبط الجزائر بواحدة منها ، هي سورية، ومنذ اكثر من ثلاث سنوات، بعضوية جبهة «الصمود والتصدي» التي تنص في احد بنودها على التنسيق العسكري. فهل تفعل الجزائر ذلك. . . هل بنت الجزائر جيشاً يتناسب مع عدد سكانها ومواردها الاقتصادية وخبرتها العسكرية في حرب التحرير؟ . . .

إننا نسأل: ما هو حجم الجيش الجزائري؟ ان الكثيرين لا يعرفون ان الجيش الجزائري اقل حجماً حتى من الجيش الاردني الذي انشأته دولة ليس لها موارد اقتصادية ولا يزيد سكانها على الثلاثة ملايين نسمة.. لا نقول اكثر.

وقد يناقش البعض في ان افتراضاتنا عن امكانية مساهمة القدرة العسكرية الجزائرية في المعركة مع العدو الصهيوني هي افتراضات مبالغ بها وهي نوع من الاحراج... حسناً... لن نجادل... ولكن افتراضاتنا هذه تنطبق على سلاح الطيران... فهذا سلاح متنقل... فهل لا تستطيع دولة مثل الجزائر ان تبني سلاحاً للطيران متميزاً جداً وبتركيز خاص لكي تقول للعرب هذه مساهمتي معكم في معركة التحرير...

اضافة الى ذلك هناك البحر. ان الجزائر بلد بحري... فهل بنت قوة بحرية ضاربة بحيث يمكن ان تستخدم في المعركة مع الكيان الصهيوني... فتقطع الامدادات البحرية عنه في البحر الابيض المتوسط وتستخدم الموانىء السورية أو الليبية «اذا استثنينا المصرية» في القيام بعمولات على القوة البحرية الصهيونية وعلى الموانىء الصهيونية... هل يقول لنا احد انها فعلت ذلك؟.

والجزائر، شأنها شأن ليبيا، لا توفر هي الاخرى مالاً سائلاً لدول المواجهة، ومنها سورية ومنظمة التحرير

الفلسطينية شريكتيها في «الصمود» وفي «التصدي». . . . ولا نقول للأردن ! .

ثم هل نسينا التاريخ؟ في عام ١٩٦٧ حدثت حرب بين العرب والعدو الصهيوني، وفي حينه لم يكن السيد القذافي قد ظهر بعد وفي تلك الحرب لم تشارك الجزائر. . .

حسناً. . . كان ذلك عدواناً صهيونياً مفاجئاً. ولكن في عام ١٩٧٣ كان العرب هم الذين بدأوا بالهجوم ولم تكن العلاقات بين الجزائر ومصر وسورية سيئة كما كانت بين العراق وسورية مثلاً. ولكن الجزائر لم تشترك في الحرب هذه المرة ايضاً لا بالبحرية ولا بالطيران ولا بالقوات البرية ولا حتى بالمتطوعين. وليبيا جارة مصر. . . والعضو في الاتحاد الثلاثي الذي جمعها مع مصر وسورية عند ذاك لم تشارك هي ايضاً ولكن دولة عربية ليست من «الصمود» و «التصدي». . . وأبعد من ليبيا والجزائر عن ساحة المعركة ساهمت بمقاتلين في الجبهة السورية في الجولان. . . وسفحت من دماء ابنائها في المعركة. . . انها المغرب. . .

فهل مشاركة العرب البعيدين في القتال مستحيلة عملياً؟ ان المغرب بمساهمته المتواضعة هذه أثبت انها غير مستحيلة.

ان مواقف اطراف جبهة «الصمود». . . و

«التصدي»... هذه من قضايا الصمود.. والتصدي... الرئيسية يمكن ان تلقي الأضواء على مواقفها من الصراع بين العراق- وإيران... وتلقي الأضواء على التبريرات التي تعطيها لهذه المواقف... وهي انها حريصة على دور العراق في الصراع العربي- الصهيوني، وعلى دور ايران فيه... فهل ان مواقفها هذه تشير الى حرصها على ادوارها في الصراع العربي - الصهيوني ، كي نفهم حرصها على دور العراق... وعلى دور إيران المزعوم ؟ .

ان فاقد الشيء لا يعطيه....

دور ايـران في الـصـراع الـعـربي - الصهيوني
في عهد الشاه وفي عهد خميني

يقال الآن كلام كثير عن دور ايران في الصراع العربي- الصهيوني، سواء في عهد الشاه أم في عهد خميني... ويبرر بعض الاطراف العربية مواقفه من الصراع القائم بين العراق وإيران، بل وتحيزه لإيران، على اساس المقارنة بين دور ايران في عهد الشاه، ودورها الحالي ازاء الصراع العربي الصهيوني... ويقال في هذا الصدد كلام كثير... وتطلق مبالغات، ولكن في اطار كل ذلك لم يجر حساب دقيق وموضوعي لهذا الدور في العهدين السابق والحالي... فما هي الحقائق الاساسية في هذا الشأن؟.

لنأخذ أولاً نظام الشاه... لقد كان نظام الشاه صديقاً للكيان الصهيوني، أقام معه علاقات دبلوماسية وتجارية وأمنية... ولكن نظام الشاه كانت له في الوقت نفسه علاقات جيدة مع عدد غير قليل من الأنظمة العربية، ومنها أنظمة في جبهة الصمود والتصدي مثل الجزائر وسورية كما بيّنا في حلقة سابقة...

وكان الموقف السياسي للحكومة الايرانية ازاء الصراع العربي- الصهيوني، هو الموافقة على القرارات الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة... فنظام الشاه اعترف بالكيان الصهيوني بحدوده القائمة قبل عدوان ١٩٦٧، ولكنه لم يعترف بحدود الاحتلال بعد ذلك التاريخ. وعندما أقدم السادات على زيارة القدس، أيده الشاه في هذه الخطوة.

وعندما نلقي الضوء على هذه المواقف فإننا لا بد وان نعتبرها سيئة، خاصة عندما تصدر عن دولة اسلامية... وهي بالتأكيد مواقف لصالح الكيان الصهيوني في صراعه ضد الأمة العربية. ولكن هذه المواقف، بحجمها، تشبه مواقف كثير من الدول في العالم التي يتعامل معها العرب، وحتى من هم في جبهة «الصمود والتصدي»... غير ان الدور الأخطر الذي كان يلعبه نظام الشاه في التأثير على الموازنة في القوة السياسية والعسكرية بين العرب والكيان الصهيوني لم يكن في هذه المواقف بالدرجة الاولى، وانما كان بمواقف أخرى... وهذه المواقف هي بالتحديد:

* اشغال العراق... وهو القوة العسكرية والبشرية الرئيسية في الساحة الشرقية عن المواجهة ضد العدو الصهيوني... وإن أمكن تدمير قوته أو اضعافها واخراجها من ساحة الموازنة في الصراع.

* تشكيل خطر ايراني دائم في منطقة الجزيرة العربية والخليج العربي، بحيث يضيف عاملاً مهماً ومباشراً لجعل بلدان هذه المنطقة تحت المظلة الاميركية، وبالتالي الحد من استخدام قدراتها الاقتصادية كعامل مهم في الموازنة في الصراع القائم بين العرب والكيان الصهيوني.

وفي هذه المواقف لم يكن الشاه خادماً للكيان الصهيوني ينفذ له رغباته، وإنما كان شريكاً له، لأنه بهذه السياسات يحقق مصلحته، وينفذ اطماعه التوسعية ايضاً. هذا هو الدور الاخطر الذي لعبه الشاه في الصراع العربي ـ الصهيوني.

وعندما سقط نظام الشاه، قال البعض من أصدقاء النظام الجديد ان سقوطه قد قلب الموازين الستراتيجية في المنطقة... فهل انقلبت هذه الموازين حقاً؟.

اذا أقررنا هدف الشاه الرئيسي في ان اشغال العراق أو تدمير قوته أو اضعافها، وابقاء منطقة الجزيرة والخليج تحت المظلة الاميركية كانا هما العامل الاخطر في الموازنة في الصراع بين العرب والكيان الصهيوني، فإن هذين الهدفين لم يتغيرا في ظل النظام الجديد. وبصرف النظر عن الأسباب والدوافع والمعلومات المتضاربة حول من بدأ الصراع العراقي ـ الايراني، وكيف، الخ... علينا أن نأخذ الأمور بنتائجها الواقعية.

ان الواقع الراهن يشير الى انه بعد سنتين من مجيء

خميني الى السلطة فإن العاملين الاساسيين في مواقف إيران واللذين كانا يلحقان الضرر الأكبر بالأمة العربية ، في الموازنة بينها وبين الكيان الصهيوني ، قد تحققا . . . وبصورة اكثر خطورة من عهد الشاه . . . فالشاه سعى الى اشغال العراق واضعافه بين ١٩٦٩ و ١٩٧٥ ، وعجز عن ذلك وتوقف ، واستطاعت القوة العراقية العسكرية والاقتصادية ان تنمو بين ١٩٧٥ و ١٩٨٠ .

ولكن في عهد خميني لم يتم اشغال العراق فحسب، وإنما شنت الحرب ضده . . .

ففي الوقت الحاضر يخوض الجيش الذي بناه الشاه حرباً واسعة النطاق، وبكل الأسلحة، وعلى مدى مئات الكيلومترات، ضد جيش العراق الذي هو القوة العسكرية العربية الرئيسية حالياً، بعد خروج مصر من المواجهة.

وبعد مجيء خميني الى السلطة ازداد التوتر في منطقة الخليج وانتشر الخوف فيها. وبعد سنوات من البداية المتواضعة لنمو التيار الاستقلالي في هذه المنطقة، والذي عبر عنه بصورة ملموسة موقف دول هذه المنطقة من كامب ديفيد في اطار قرارات قمة بغداد، وما تعنيه من استعداد لرفض المخطط الاميركي، والسير بصورة عامة في اتجاه السياسة العربية القومية . . . فأتت النتيجة العملية لقيام نظام خميني وسياساته في « تصدير الثورة » وحربه ضد العراق هي تدفق

الاساطيل على مياه المنطقة ، وحصول اميركا على تسهيلات عسكرية جديدة ، بينما راح البعض من بلدان المنطقة يفتشون عن الحماية تحت المظلة الاميركية بصورة أو بأخرى .

ان الدور الذي كان يلعبه الشاه في التأثير على موازين القوى بين العرب والكيان الصهيوني قد تحقق الآن وبصورة واضحة وملموسة، بل وبصورة اخطر عما كان في أيام الشاه. هذه هي الحقيقة الموضوعية، فعلى أي اساس يستند الذين يقولون ان الثورة الايرانية قد قلبت موازين القوى لصالح العرب في صراعهم مع الكيان الصهيوني... على أي اساس؟.

هل بنيت هذه التقديرات على اساس ان نظام خميني قد قطع علاقاته مع الكيان الصهيوني وفتح مكتباً لمنظمة التحرير الفلسطينية اسماه سفارة وانه يهاجم الصهيونية والامبريالية في الاعلام؟.

لنأخذ مواقف النظام الجديد في ايران ولندرسها بدقة وموضوعية...

ان البعض يعول كثيراً على ان ايران مستعدة للدخول في الصراع ضد الكيان الصهيوني... بل ان البعض اطلق تمنيات، وردد مبالغات في هذا الشأن.

حسناً... يمكن ان يكون ذلك صحيحاً أو غير

صحيح... ولكن علينا هنا أن نأخذ الواقع الملموس، وليس التصريحات والأقوال...

ان ما فعلته ايران بعد «الثورة» إزاء الكيان الصهيوني، جعلها تصبح في مرتبة مثل مرتبة الباكستان مثلاً. فإيران قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني وهذا عمل جيد، ولكنه في طبيعته الاساسية ليس سوى تصحيح لموقف منحرف اتخذه نظام الشاه. فالباكستان لم تعترف أصلاً بهذا الكيان على الرغم من أنها كانت متحالفة رسمياً في اطار حلف بغداد وحلف السنتو مع اصدقاء اسرائيل وبخاصة اميركا... وكذلك فعلت دول اسلامية عديدة مثل افغانستان، ثم بنغلاديش بعد قيامها، واندونيسيا وغيرها. بل ان دولاً غير اسلامية لم تعترف حتى الآن بالكيان الصهيوني مثل اسبانيا واليونان، على الرغم من انهما جزء من الاسرة الغربية، وعضوان في حلف الاطلسي... كما ان دولاً افريقية عديدة غير اسلامية قطعت علاقاتها مع الكيان الصهيوني تضامناً مع العرب، فإيران بهذا الموقف لم تتميز بشيء عن غيرها من الدول غير الإسلامية... وإنما هي ارتفعت الى موقفهم بعد سقوط الشاه... وكذلك الأمر بالنسبة الى تمثيل منظمة التحرير في إيران فسواء سمي مكتب المنظمة في طهران سفارة أم مكتباً... فإن ذلك لا يغير من الأمر شيئاً...

ان منظمة التحرير لم تطلب أصلاً ان تسمي مكاتبها في الدول الاجنبية سفارات، لأنها لم تشكل حتى الآن حكومة... أو حكومة مؤقتة، ولو أرادت ذلك لطلبته من اشقائها العرب، ولاستجابوا الى طلبها بالتأكيد... فهذا اذن لا يضيف شيئاً...

بقي هل تساند ايران منظمة التحرير الفلسطينية بالمال أو السلاح؟.

المعلومات تشير الى ان هذا لم يحصل حتى الآن... وحتى لو حصل فإنه لا يميز ايران عن غيرها كثيراً...

ان دولاً اجنبية عديدة في العالم تقدم مساعدات ملموسة لمنظمة التحرير، فهي تقدم لها اسلحة ومعدات عسكرية، ومساعدات طبية وخدمات ثقافية وغيرها من الخدمات... ومنظمة التحرير حصلت على حاجتها من المساعدة المالية بصورة مرضية بعد قمة بغداد، والذي لم يسدد التزاماته التي حددتها قمة بغداد هم شركاؤها الأغنياء في جبهة «الصمود والتصدي»... فماذا فعلت ايران فعلياً للقضية الفلسطينية اكثر من غيرها؟ هل ارسلت قوات الى جبهات القتال الى جانب العرب ضد الكيان الصهيوني؟.

ان الاكيد حتى الآن هو ان القوات الايرانية تقاتل

الجيش العراقي... الذي هو اكبر قوة عسكرية عربية في المشرق العربي...

قد يقول البعض ولكن «كان يمكن»... و «من المحتمل» و «قد قيل» إن ايران كانت ستقاتل الى جانب العرب ضد الكيان الصهيوني... ونحن نقول ان القضايا الاساسية لا تحسب على اساس «كان يمكن» و «من المحتمل» و «قد قيل»... وانما تحسب بالحسابات الفعلية.

وخلاصة القول ان موقف ايران لم يخرج حتى الآن عن دائرة «التضامن» و«التعاطف»مع العرب في نضالهم ضد العدو الصهيوني، وهو موقف تتخذه أغلبية البلدان الاسلامية، وأغلبية بلدان عدم الانحياز، ومنها المجموعة الافريقية، بل وحتى بلدان غربية... في حين تتصرف من الناحية الاخرى بصورة تؤثر تأثيراً سلبياً كبيراً على موازين الصراع بين الأمة العربية والكيان الصهيوني... تماماً كما فعل الشاه بل أخطر.

لكي لا تختلط الأوراق
وتتداخل الخنـــادق
وتمـــر المؤامَـــرة

منذ بدء نهضتها في العصر الحديث ، والأمة العربية تواجه أشكالاً عديدة من المؤامرات والتحديات التي استهدفت كيانها وشخصيتها الحضارية وأجزاء من أرضها ، كما استهدفت حريتها ومصالحها الأساسية وطموحها المشروع الى الوحدة والنهضة .

وخلال عشرات من السنين تعيش الأمة حالة من التوتر الحاد والصراع الساخن في داخل أعماقها من جهة ، وبينها وبين القوى الخارجية من الجهة الأخرى ، ولم تصل بعد الى قرار .

وفي خلال هذا المخاض الطويل والصعب استطاعت الأمة العربية وحركتها الثورية التحررية أن تحقق انتصارات عديدة ، كما عانت أيضاً نكسات مريرة ، ولحقت بها هزائم فادحة .

وهناك الكثير مما يمكن أن يقال عن أوضاع الأمة في الماضي والحاضر ، وعن أسباب نكساتها وانتصاراتها ، وعن العبر والدروس التي يمكن أن تستخلص من هذه وتلك .

ولكنني في هذه المحاولة المتواضعة ، أود أن أسلط الضوء على جانب معين ، اعتقد انه يمثل بالنسبة لظروف الأمة العربية أهمية استثنائية ، ويلعب دوراً أساسياً ، سواء في النكسات التي تعانيها الأمة ، أو في الانتصارات التي تحققها .

ذلك الجانب هو الوضوح وخلط الأوراق ، ثم ما يتصل بهذا الجانب في الظروف الراهنة التي تواجهها الأمة العربية ، وبخاصة ما يتعلق بعلاقاتها مع ايران . .

ان الدراسة الامينة ، في تقديري ، لمجرى النضال العربي عبر عشرات السنين من التوتر والصراع ، كانت تشير الى حقيقة مهمة ، وهي ان الأمة العربية وحركتها الثورية التحررية ، حتى في حالات ضعفها المادي النسبي ، تكونان أقوى وأفضل حالاً في المعارك والتحديات التي تخوضانها عندما تكون الظروف واضحة وخنادق القتال بينها وبين الاعداء متباعدة ، عما تكونان عندما تختلط الأوراق ، وتهتز الصورة ، وتتداخل الخنادق بينها وبين الاعداء ، حتى ولو كانتا في الحالة الثانية تمتلكان قوى مادية افضل .

وقد يقول قائل ان هذه حقيقة عامة لا تتميز بها الأمة العربية وحركتها الثورية التحررية عن غيرها ، وهذا صحيح ، ولكن المأساة التي تعاني منها الأمة العربية هي ان الكثير من ابنائها ومن قياداتها لا يعون هذه الحقيقة بالقدر المطلوب ، في حين يركز

الخصوم عليها تركيزاً شديداً ويستثمرونها بدهاء وخبث وعلى أوسع نطاق . وتتكرر هذه الظاهرة مرة بعد اخرى ، وتتكرر النكسات والخسائر التي تحدق بالأمة في الاوقات التي تبدو فيها قوية ومرشحة للتقدم والنهضة .

لنأخذ بعض الأمثلة من التاريخ المعاصر الذي عاشه هذا الجيل ولنقارن :

● في الأربعينات كان الجزء الأعظم من الوطن العربي واقعاً تحت السيطرة الاستعمارية المباشرة ، وكان هناك عدد قليل من الاقطار العربية التي تمتلك استقلالاً مقيداً بالمعاهدات والقواعد الاجنبية ، فضلاً عن النفوذ الاستعماري المنتشر في شتى ميادين السياسة والاقتصاد والادارة والثقافة .

وكانت هذه الأقطار العربية فقيرة ومتخلفة وضعيفة عسكرياً ، وكانت اجهزتها الدبلوماسية والاعلامية في غاية الضعف والتخلف .

وفي ذلك الوقت تم تنفيذ المشروع الصهيوني بإقامة الدولة الصهيونية في فلسطين ، وعلى الرغم من كل حالات الضعف والتخلف التي أشرنا اليها ، فقد أجبرت الأنظمة العربية على المقاومة والقتال ، ولم يتمكن الصهاينة ومن خلفهم كل العالم الاستعماري ، ومع قدر من مساعدة الاتحاد السوفياتي ايضاً ، إلا من اقتطاع جزء محدود من ارض فلسطين أقاموا فيه كيانهم

الغاصب . وقد جوبه ذلك برفض شامل من قبل الأمة العربية ، وبقي التصميم على رفض الكيان الصهيوني قوياً ، وبقيت الآمال قوية في استعادة الوطن المغتصب .

● وبعد أكثر من ثلاثين عاماً من ذلك التاريخ ، حصلت كل الاقطار العربية على استقلالها ، وصارت لها جيوش واجهزة اعلامية ودبلوماسية متقدمة كثيراً عن مرحلة الاربعينات ، وصارت ميزانيات عدد غير قليل من البلدان العربية تعد بالمليارات ، ولكن في ظل هذه القوة النسبية في الوضع العربي نجد ان اوساطاً عربية كثيرة تقبل بالاغتصاب الصهيوني للجزء المحتل قبل عام ١٩٦٧ ، ولا تمانع في التعامل بشكل أو بآخر مع الكيان الصهيوني ، بل ان رئيس أكبر دولة عربية ذهب الى حد الاعتراف به والتحالف معه ومع الامبريالية ضد الامة العربية .

طبعاً ، ان لهذا التطور أسباباً عديدة سياسية واقتصادية وثقافية محلية وعربية ودولية ، يمكن أن يقال عنها الكثير ، ولكن علينا أن لا ننسى ان الذي يفعل ذلك ، أي السادات ، هو الشخص الذي أذاع البيان الأول لثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ ، وهو الذي كان نائباً للرئيس القومي عبد الناصر حتى ساعة وفاته ، وانه هو الذي كان على رأس مصر عندما خاضت حرب تشرين ١٩٧٣ ، وفي مرحلة ما بعد حرب تشرين ، كان عدد قليل فقط من القوميين الثوريين العرب يحذر من نهج السادات المنحرف ، في حين كانت الأغلبية تعتبر السادات قائداً وطنياً ، وإن اختلف

هذا أو ذاك معه في التفاصيل وفي التكتيكات ، بل ان الكثير من القيادات السياسية العربية بقي حليفاً له ، حتى قبل يوم واحد من زيارته المشؤومة للقدس .

كيف استطاع السادات ان ينتقل من حالة « القائد الوطني » و « بطل حرب تشرين » ، كما كان ينظر اليه حتى من الأوساط التي تقاومه حالياً الى الاعتراف بالكيان الصهيوني وخيانة القضية العربية بهذا الشكل السافر والوقح ، في حين ان القيادات السياسية في الاربعينات والخمسينات ، بكل ما نعرفه عنها من صفات الرجعية والارتباط بالأجنبي ، لم تستطع ان تفعل جزءاً يسيراً مما فعل السادات ؟ .

في اعتقادي ان « السر » الاساسي في ذلك هو ان المعركة بين العرب والكيان الصهيوني في مرحلة الاربعينات والخمسينات كانت واضحة ، وكانت خنادق الطرفين متباعدة ، لذلك لم يجرؤ حتى الحكام المرتبطون صراحة بالاستعمار العربي على أن يقدموا على ما فعله السادات بعدهم بعدة عقود .

ولا نجانب الحقيقة اذ نقول لو أن السادات اعلن عن عزمه على الذهاب الى القدس والتعاون المباشر مع العدو الصهيوني بعد عام من توليه الرئاسة لكان أعدم أو قتلته الجماهير بانتفاضة عارمة ، ولو انه اعلن عن ذلك بعد حرب تشرين مباشرة لواجهته مقاومة شديدة ، ولكنه استطاع أن يفعل كل ذلك في عام

١٩٧٧ ، وان يمرر مخططه التآمري .

لقد نظم السادات عملية خلط للأوراق ماكرة وخبيثة ومتدرجة ، فقد خلط بين العمل العسكري الذي يبدو انه مشابه لحرب التحرير وبين المرونة السياسية التي تفرط بالقضايا والمصالح بالتدريج وقبل ذلك خلط السادات بين قضايا الديمقراطية وضرورة تصحيح بعض جوانب التجربة الناصرية وبين الردة الرجعية والانقضاض على التجربة التحررية والتقدمية التي بناها عبد الناصر ، وخلط السادات بين الاستقلالية في التعامل مع الاتحاد السوفياتي وبين الانحياز الفعلي للولايات المتحدة .

لقد خلط السادات بين قضايا عديدة اذا ما اخذت الواحدة منها منعزلة عن الأخرى فقد تبدو للمراقب قصير النظر مشروعة وضرورية ، ولكن خلطها بصورة تشوش اذهان الجماهير ، وتضعها في دوامة الضياع يسهل على المتآمر تنفيذ المؤامرة بصورة متدرجة ، بعد ان يكون قد حطم أو شل ، أو عزل القوى التي يمكن أن تقاوم الواحدة بعد الأخرى .

لقد نجح السادات في ذلك لأنه استطاع بدهاء ان يشوش ويضلل ويفتت كل القوى والعناصر الوطنية المصرية والقومية العربية والدولية التي تعارض غاياته الحقيقية ، في الوقت الذي كان يعمل فيه على تجميع وتعزيز وتنسيق القوى والعناصر المصرية والعربية والدولية التي تقف معه في هذه الغايات ، فاستخدم في

ذلك أفراداً واحزاباً وحركات وقيادات ودولاً ، كان كل واحد منها يكتشف بعد حين انه قد استخدم لغير ما ظنه في البداية انه يعمل من أجله .

● مثال آخر من التاريخ الذي يذكره هذا الجيل .

في الخمسينات كانت هناك جبهتان في الساحة العربية ، احداهما رجعية مرتبطة بالاستعمار الغربي ، وتدعو الى الارتباط بالأحلاف العسكرية الغربية ، ويقودها نظام نوري سعيد في العراق ، والثانية وطنية تعارض السيطرة والنفوذ الاستعماري والاحلاف العسكرية وتدعو الى التحرر والحياد ويقودها عبد الناصر في مصر .

وقد نشبت بين اطراف الجبهتين معارك سياسية واعلامية ونضالية مريرة ، ولم يكن احد يشك في قوة وطغيان الجبهة الرجعية والاستعمارية .

ولكن برغم ذلك وبسبب وضوح المعركة وتباعد الخنادق ، تقدمت حركة التحرر العربية وازدادت قوة وأفشلت محاولات نشر حلف بغداد على بلدان المنطقة ، واستطاعت أن تحقق انجازاً تاريخياً عظيماً بوحدة مصر وسورية وقيام الجمهورية العربية المتحدة ، وفي تموز ١٩٥٨ ، قامت الثورة في العراق وأطاحت بنظام نوري سعيد وحلف بغداد ، وفي تلك الساعة من التاريخ

العربي ، شعر القوميون العرب بأنهم قد بلغوا درجة عالية من القوة في مواجهة القوى الاستعمارية والعميلة في الوطن العربي والمنطقة وان آفاقاً رحبة قد انفتحت أمامهم على طريق التحرر والتقدم والوحدة ، ولكن لننظر كيف سارت الأمور .

لقد كانت هناك بين أوساط القوى القومية العربية آراء كثيرة في الأوضاع السائدة في الجمهورية المتحدة في طريقة الحكم وفي الخيارات الديمقراطية وغيره ، ولكن برغم ذلك كان المخلصون لقضية الوحدة يرون بأن الجمهورية العربية المتحدة بأعتبارها قوة عربية كبيرة نشأت في التاريخ الحديث تشكل في أقل الاحتمالات سداً قوياً أمام العدوان الصهيوني .

وعندما قامت الثورة في العراق ، وهي بدون شك ثورة وطنية معادية للاستعمار ، طرحت القوى القومية العربية على الفور مسألة الوحدة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة ، ولكن عبد الكريم قاسم ومعه الشيوعيون العراقيون ، وكل القوى والعناصر الاقليمية والشعوبية والرجعية طرحوا بالمقابل مسألة الديمقراطية .

ولا جدال في ان الديمقراطية مسألة مشروعة وضرورية في النضال العربي ولكن أطراف هذا التحالف وضعوا الديمقراطية في خندق مضاد للقومية وللوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة ، وشنوا ضد الجمهورية العربية المتحدة وضد عبد الناصر ، وضد

القومية العربية ، وضد القوى القومية في العراق ، وبخاصة حزب البعث ، حرباً شعواء ، وساهمت معهم في ذلك أطراف عربية وقوى دولية ، ونشأت حالة معقدة من خلط الأوراق وتداخل الخنادق ، فصار المواطن العربي المخلص ضائعاً وحائراً بين شعوره بأهمية الوحدة وبين حاجته للديمقراطية ، كما ضاع في دوامة الصراعات التي لا يظهر فيها جانب الحق كاملاً ومتكاملاً لصالح طرف واحد .

وكانت نتيجة عملية خلط الأوراق هذه أن أحبط مشروع الوحدة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة ، وضربت القوى القومية في العراق ، وفي مقدمتها حزب البعث العربي الاشتراكي ، ضربات شديدة جداً ، وبعد أن تم ذلك طويت مسألة « الديمقراطية » . وسادت في العراق ديكتاتورية عسكرية غاشمة ، وفي الطرف الآخر نجح الانفصاليون الذين استفادوا كثيراً من صراع السلطة القاسمية والشيوعيين وحلفائهم ضد الجمهورية العربية المتحدة في تنفيذ مؤامرة الانفصال .

وهكذا وجدت الأمة العربية انه بعد ثلاث سنوات من قيام الثورة في العراق ، وبعد أن كانت كل الظروف ترشح حركة الثورة العربية للتقدم ولمزيد من الانتشار ، وقد ضاعت الوحدة المصرية ـ السورية ، وضاعت الديمقراطية في العراق ايضاً ، ولم يستفد من كل ذلك سوى الاستعمار والصهيونية .

هذا أمر لا يجوز أن ننساه ، ونحن نعالج أوضاع الحاضر ، التي وان اختلفت فيها الظواهر الطافية على السطح عن الماضي واختلف الممثلون ، فإن الحقائق الأساسية فيها تبقى ثابتة .

المثالان اللذان أشرنا اليهما ربما يساعداننا في تلمس الطريق الصحيح ، والتفريق بين النافع والضار في الوقت الحاضر ، من بين ركام المواقف المتناقضة والأوراق المختلطة .

ما هي الاخطار التي تهدد الأمة العربية في المرحلة الراهنة ، وكيف يمكن ان نفسر في اطار هذه الظروف تصرفات القيادات الايرانية ازاء القضايا العربية وضد العراق وقيادته القومية والثورية بوجه خاص ؟ .

هذه مسائل تثير اليوم اسئلة كثيرة ، وتدور حولها نقاشات حادة ، وتجري حولها عملية خلط واسعة ومعقدة للأوراق ، ولكن برغم هذه الصورة المعقدة ، أظن أن بإمكان القوى القومية المخلصة أن تتبين الخطأ من الصواب ، وان تجد الطريق الصحيح اذا هي عادت الى منابعها الأصيلة ، واستذكرت تجاربها المريرة السابقة ، وما خرجت به من خلالها من عبر ودروس .

إن في الوطن العربي مشكلات عديدة وتناقضات سياسية واجتماعية حادة ، فما تزال هناك ظروف طبقية متناقضة وفساد واسع النطاق ، وبخاصة في بعض الأنظمة ، وهناك أشكال متعددة من النفوذ الاجنبي وحالات من التخلف في ميادين

كثيرة ، الى آخر الصورة المعروفة .

ولكن في اطار هذا الوضع كله الذي تتباين فيه الآراء والمواقف حول كيفية العلاج والمواجهة بين مختلف الأحزاب والحركات والتيارات الفكرية والسياسية ، هناك اجماع أو ما يشبه الاجماع على ان اخطر ما يواجه الأمة في الظرف الراهن هو وجود الكيان الصهيوني وخطره الدائم والمتصاعد على الأمة العربية ، ووجود النفوذ الأجنبي وخطره الدائم والمتطور على الأمة العربية .

ثم هذه الخيانة الصارخة لنظام السادات للقضية العربية وما ترتب عليها من نتائج خطيرة على موازين الصراع بين الأمة العربية من جهة ، وبين عدوها الصهيوني من الجهة الأخرى ، كما ان هناك اجماعاً أو ما يشبه الاجماع على ضرورة مواجهة هذه الأخطار بموقف عربي موحد .

فما هي الظروف والمواقف التي تضعف هذه المواجهة ، وما هي الظروف والمواقف التي تقوي هذه المواجهة ؟!

عندما وقع السادات اتفاقيات كامب ديفيد نشأ في الساحة العربية وضع خطير ، وبلبلة واسعة النطاق ، وخوف شديد من احتمالات انتشار مخطط كامب ديفيد الى بلدان اخرى ، ودعوات من بعض الأطراف الى الارتماء في احضان استراتيجيات اجنبية في مواجهة المخطط الأميركي ـ الصهيوني ـ الساداتي ، وحالات متعددة من اليأس والقنوط .

وكانت محصلة هذا الوضع سلبية جداً ، ولو انه استمر فترة طويلة لتفاقم الخطر الناتج عن خيانة السادات ونشوء التحالف الامبركي - الصهيوني - الساداتي .

حينئذٍ قام العراق وقيادته القومية بدور اعترف الكثيرون حتى من الذين لا يحبون العراق ونهجه بأنه دور قومي تاريخي .

بادر العراق الذي لم يكن يتعامل في السابق مع صيغ القمم العربية الى عقد مؤتمر قمة بغداد ، وبعد معركة سياسية معقدة استطاع أن يخرج من المؤتمر بموقف قومي اعتبر موقف الحد الادنى ،ولكنه يتيح الفرصة لمن يريد ان يتخذ ما هو أرقى منه ،كما أن الأفاق بقيت مفتوحة لتطوره .

وعند توقيع اتفاقيات الصلح بين السادات والكيان الصهيوني في ٢٦ آذار ١٩٧٩ استطاع العراق الذي استضاف ايضاً مؤتمر وزراء الخارجية والاقتصاد العرب ، ومن خلال معركة سياسية صعبة ومعقدة ، ان يوفر الظروف لخروج قرارات كانت أعلى في نوعيتها وأبعد في مداها من قرارات القمة التي سبقتها ببضعة أشهر .

وهكذا تشكل وضع عربي مناسب ضد خيانة السادات يمكن من خلال تطوير عناصره الايجابية أن يتقدم الى أمام ، ولو بصورة بطيئة ، وان كانت لا ترضي طموح القوميين الثوريين الذين يطالبون ببرنامج الحد الاقصى ، إلا أنها تشكل حالة

متقدمة نسبياً عن الوضع الذي كان يمكن أن ينشأ لولا قمة بغداد ونتائجها هذه .

ان اكبر فائدة تحققت في قمة بغداد هي أنها نجحت بمستوى جيد في فرز الأوراق التي خلطها السادات والخنادق التي جعلها متداخلة وهو ينحدر الى درك الخيانة ، فبعد قمة بغداد برز واضحاً أمام الجماهير العربية ، وأمام جماهير مصر وكذلك أمام الرأي العام الاسلامي والرأي العام في العالم الثالث ، وعلى الصعيد الدولي ان هناك موقفين مختلفين متباعدين ، أحدهما يقفه السادات والآخر تقفه أغلبية الأمة العربية .

والوضوح الذي أفرزته قمة بغداد مكن الأمة العربية وفي خلال بضعة أشهر من النشاط السياسي والدبلوماسي من عزل السادات عربياً وفي المحيط الاسلامي وفي حركة عدم الانحياز ، ثم أدى الى اضعاف مواقعه كثيراً في افريقيا ومنع تكوّن موقف أوروبي غربي متماسك لصالحه ، بل ان المواقف الاوروبية صارت تقترب نسبياً من اتجاهات قمة بغداد .

وقد انعكس كل هذا على مسيرة اتفاقيات كامب ديفيد التي اصبحت اكثر صعوبة وتعقيداً ، كما انعكست ايضاً على وضع نظام السادات في داخل مصر ، فقل تأثيره التضليلي على الجماهير المصرية ، وتفاقمت أزماته السياسية والاقتصادية والأمنية ، وهذه كلها نتائج مهمة جداً بالنسبة للصراع العربي - الصهيوني .

صحيح انها لم تحسم هذا الصراع بضربة سحرية ـ والضربة السحرية في مثل هذه الصراعات مستحيلة أصلاً ـ ولكنها اعادت تصحيح الموقف برمته ، ولو بنسبة ضئيلة لصالح العرب .

* * *

في هذه الظروف سقط شاه ايران . . . وجاءت القيادات الجديدة الى الحكم في إيران . . .

وهنا لن ندخل في تقييم لما جرى في ايران ، وفيما اذا كان ثورة أو مجرد انفجار شعبي ، ولن نجادل في هوية الثورة وفي مآلها ، وإنما سنتناول فقط الصلة بين مواقف القيادات الايرانية وبين اوضاع الأمة العربية وصراعها ضد الصهيونية وخيانة السادات والمخطط الامبريالي .

ولو عدنا الى تلك الايام نراجع فيها الأحداث بروية لوجدنا أن الاوساط القيادية الايرانية بدأت تشن الحملات على العراق منذ الأيام الأولى ، ولا بد من التذكير بهذه الحقيقة لأن البعض يتوهم أو يحاول ان يوهم بأن ما يسمى بالخلاف العراقي ـ الايراني قد نشأ مؤخراً .

وللتدليل على ما أقول أورد بعض النصوص من سلسلة مقالات نشرت في جريدة « الثورة » في العراق في ١٢/ ١٣/

حزيران ١٩٧٩ عن العلاقات العراقية ـ الايرانية . . .

يقول النص :

« وعادت من جديد لتتلبد سماء العلاقات بين العراق وايران بالغيوم ، وعادت الاذاعات والصحف في ايران تهاجم العراق وقيادة العراق وحزب الثورة في العراق بعد ان سكتت أربعة أعوام وأشهراً .

لماذا يحدث ذلك ، مع ان في ايران ثورة على الشاه الذي عادى العراق وقيادة العراق وحزب الثورة في العراق عداء سافراً وعنيفاً من عام ١٩٦٩ حتى عام ١٩٧٥ ، والذي كان يتصرف بعد ذلك سياسياً وعسكرياً وفي كل الميادين الأخرى ، بما يؤدي الى تقييد حركة العراق ومنعه من الاندفاع بإمكاناته الكبيرة نحو الساحة القومية العربية ؟!

ان هذا سؤال كبير ولا بد من الاجابة عنه بصراحة ووضوح لكي نضع النقاط على الحروف ونحذر من العواقب قبل ان تزداد الحالة سوءاً . فقبل ذلك وعندما بدأ الشاه بالتحرش بالعراق اعلامياً وسياسياً وعسكرياً ، قلنا له ان مصلحة ايران والعراق وكل بلدان المنطقة هي في ان لا تكون العلاقات بين هذين البلدين الجارين سيئة ، وان الحكمة تتطلب ان يفتشا عن صيغة سليمة للعلاقة بينهما ، وان يبحثا عما يجمع بينهما اكثر مما يفرق .

ولكن الشاه كان غارقاً في الغرور ، وكان يظن بأنه قوي ، وبأنه قادر على مواصلة اللعبة ، بل وقد قاده غروره الى حد التصور

بأنه قادر على تغيير الأوضاع السياسية في العراق ، فأقدم على مؤامرته المعروفة مع فلول من الخونة والمرتزقة في عام ١٩٧٠ ، والذين أطاحت الثورة برؤوسهم العفنة ، لقد أغرته نفسه الطامعة بفرض السلطان على المنطقة ، وأغرته احقاد التاريخ القديم ، وأغرته القوى الدولية الطامعة في السيطرة على المنطقة من خلال اشاعة الاحتراب والتوتر بين بلدانها ، فلعب اللعبة وكان واثقاً من أنه سيربحها ، ومضت السنوات سنة بعد سنة وتآمر الشاه على العراق يشتد حتى بلغ درجة الحرب المباشرة حيناً ، وغير المباشرة حيناً آخر .

ولو عدنا الى التاريخ واستمعنا الى ما كانت تقوله اذاعة طهران وصحف طهران وزعامة طهران ، لوجدنا ان أكبر اللافتات التي حملها حكم الشاه في ايران ضد العراق في ذلك الوقت كانت لافتة الدين ، وان من بين أهم الأدوات التي استخدمها ضد العراق بعض من حسبوا على رجال الدين ! علينا أن نذكر هذه الحقيقة وكل ما فيها من مفارقة لأن الغريب في الأمر هو أن اللعبة تتكرر وان اختلاف اللاعب !

وفي ذلك الوقت كان الحاكم في طهران يبدي عواطف الود والاخاء للعرب الابعدين في نفس الوقت الذي يلحق الأذى بالعرب الاقربين ، ففي الوقت الذي كان الشاه يقيم علاقات صداقة وتحالف متينة مع حكام عرب عديدين ، كان يشدد تآمره على العراق ويرسل قواته العسكرية لتحتل الجزر العربية في الخليج طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى .

وعلينا أن نذكر هذه الحقيقة ايضاً لأن التاريخ يوشك أن يعيد نفسه في ايران ، إن لم نقل قد أعاد نفسه وبنفس الأساليب !"

كما يقول النص أيضاً :

« عندما نجحت الثورة الايرانية عبر العراق عن استبشاره بهذا النجاح . . . كما عبر بمذكرة موجهة الى الحكومة الايرانية عن رغبته في إقامة علاقات طيبة مع ايران .

وقد حرص العراق على ان يثبت موقفه هذا بمذكرة رسمية لكي يحدد الأسس السليمة والواضحة للعلاقة بينه وبين إيران .

وموقف العراق من إيران ومما يجري فيها لا يشبه موقف الآخرين في الأقطار العربية الأخرى . . . فبالاضافة الى كل ما يجمع بين العرب وإيران . . . هناك بين العراق وإيران جيرة على امتداد مئات الكيلومترات . . . وهناك مصالح متبادلة بصورة مباشرة . . . والتعاون بينهما يحقق نتائج ايجابية مباشرة الخلاف بينهما يؤدي الى نتائج سلبية ومباشرة ايضاً .

لهذا السبب حرص العراق على تثبيت موقفه من الثورة الايرانية بمذكرة صريحة وواضحة .

ولكن ومنذ الأيام الأولى لنجاح الثورة في ايران بدأنا نسمع اقوالاً ونقرأ أشياء في الصحف تسيء الى العراق .

وقلنا في حينه ان ايران تعيش ظروفاً مضطربة وان فيها تيارات

واجنحة وكتلاً عديدة . . ولا بد ان يكون هناك من يريد الاصطياد في المياه العكرة . . ولا ننسى الامبريالية والعملاء . . . و . . . غير ذلك من التبريرات وسكتنا . . . وتحملنا . .

ولكن السكوت لم يوقف الاساءات ، بل صارت تزداد مع الأيام وتشتد وقاحة ، وربما تصورت الأوساط التي تقوم بهذا الدور أو صور لها بأن السكوت من الضعف .

وهذه المرة صرنا ننبه بصورة رسمية . . . وصارت سفارتنا في طهران تراجع الخارجية الايرانية ، وتلفت النظر الى هذه الاساءات والتصرفات المؤذية للعراق ، وتسأل عن معنى هذا التصرف وذاك ، وكنا نتلقى اجابات فيها الغموض . . . والتسويف . . . والتبرير غير المقنع .

ولكن الذي كان يلفت النظر ان النسبة الاكبر من الاساءات المباشرة وغير المباشرة كانت تصدر عن المجموعة المحسوبة على الخميني ، وفي الأيام الأخيرة وصلت الاساءات الى مستوى قذر جداً مثل ما ورد على لسان احمد مدني وبعض المسؤولين الايرانيين ، كما بدأت الاذاعة الايرانية بشن حملة اعلامية منظمة ضد العراق .

هنا لا بد لنا من أن نتساءل . . . لماذا ؟ .

اذا كانت الثورة الايرانية ثورة ضد الامبريالية ، وذات نهج مستقل عن الشرق والغرب فإن أقرب الناس اليها جغرافياً ، وفي هذا

الموقف المستقل هو العراق ، فالعراق قلعة اساسية في النضال ضد الامبريالية في المنطقة وهو يناضل ضدها بعناد حتى اصبح اكبر شوكة في جنب المخطط الامبريالي ، والعراق بلد مستقل تماماً عن كل الكتل الدولية ، ومن الطبيعي ان يلتقي اصحاب المواقف المشتركة مع بعضهم .

واذا كانت الثورة الايرانية في جانب منها ثورة من اجل فلسطين كما يقال في التصريحات ، فإن أكثر قطر عربي يحتاجه النضال الفلسطيني في الوقت الحاضر هو العراق ، لأن العراق هو أكبر اقطار المشرق العربي ، وأكثرها اقتداراً من الناحية البشرية والعسكرية والاقتصادية ، ومن النواحي الاخرى ، وبدونه لا يمكن سد الثغرة الاستراتيجية الناشئة عن خيانة حاكم مصر في صراع الأمة العربية مع العدو الصهيوني ومع الامبريالية . فهل يستقيم الاخلاص لفلسطين مع اشغال العراق الذي هو أحوج ما تكون اليه فلسطين ؟

« واذا كانت الثورة الايرانية حليفة للعرب فأول من يجب ان تحالفهم هم عرب العراق ، لأنهم الجيران ، والأقربون . وليس منطقياً ان يقال الكلام الذي فيه السمن والعسل عن عرب بعيدين ، وتتلبد الاجواء بالدس والافتراء ضد العرب الاقربين ، ثم يقال . . . اننا حلفاء للعرب . . . ماذا يجهل الأبعدون اذن من الكلام الطيب غير الكلام ، في حين يتعرض الأقربون للأذى المباشر ؟ » .

* * *

هذه نصوص أوردناها للتذكير ، ولا ننس أنه في ذلك الوقت الذي قيل فيه هذا الكلام ـ حزيران ١٩٧٩ ـ والذي كان رداً حكيماً ومسؤولاً من قيادة العراق على الحملات التي أطلقها حكام إيران ، كانت الأمة العربية تعيش أجواء نتائج قمة بغداد ، وضرورات تطويرها ، وما للعراق من دور فعال في ذلك ، كما كانت العلاقات العراقية ـ السورية التي نشأت عن ميثاق العمل القومي ما تزال قائمة بكل ما فيها من آمال ومطامح قومية في الوحدة والعمل المشترك ضد التحالف الساداتي ـ الصهيوني .

في ذلك الوقت بالذات انفجرت الحملات الايرانية بوجه العراق ، وبدأت الساحة العربية وساحة المنطقة تشهد محاولة جديدة لخلط الأوراق وتداخل الخنادق .

وبعد أقل من سنة من الحملات الأولى ، تصاعدت الحملات الايرانية ضد العراق مرة أخرى ، وبشكل محموم وصارخ ، ولم تقف عند حدود الحملات الاعلامية ، والسياسية فحسب ، وإنما استهدفت هذه المرة تشويش الصورة عن الأوضاع الداخلية في العراق وفرض معركة جانبية عليه بتنظيم عمليات ارهابية تستهدف المواطنين والتجمعات الجماهيرية . وفي هذه المرة لم يحرص حكام ايران حتى على التستر وراء واجهات ، إنما استخدموا عناصر فارسية ومؤسسات فارسية في العراق في هذه العمليات . . .

السؤال المهم هنا ، والذي يشكل مفتاحاً أساسياً لفهم الموقف هو : متى حدث ذلك ؟

في المرة الأولى فجر الحكام الايرانيون حملاتهم الاعلامية في الوقت الذي كان فيه العراق يؤدي دوره الايجابي البارز في قمة بغداد ومؤتمر وزراء الخارجية والاقتصاد العرب ، من أجل تأمين موقف عربي متماسك ضد التحالف الساداتي ـ الصهيوني ـ الامبريالي ، ومؤامرة كامب ديفيد .

وفي هذه المرة ، صعدوا حملتهم في الظروف التالية :

في الأشهر الاخيرة قام العراق بثلاثة أدوار رئيسية يمكن لأي قومي شريف أن يثبين ضرورتها الحيوية للقضية العربية بوجه عام ، وللنضال ضد الصهيونية والامبريالية بوجه خاص .

● أولاً ، في أيلول الماضي انعقد مؤتمر قمة عدم الانحياز في هافانا ، وفي ذلك المؤتمر جرت معركة سياسية شرسة ومعقدة من اجل أدانة اتفاقيات كامب ديفيد وعزل النظام المصري عن حركة عدم الانحياز . وفي هذه المعركة كان للرئيس صدام حسين دور أساسي في الوصول الى النتيجة التي خرج بها المؤتمر .

لقد وضع العراق كل ثقل علاقاته الحسنة مع دول عدم الانحياز في اميركا اللاتينية ، وفي افريقيا ، وفي آسيا . وتجاوز الرئيس صدام حسين كل حساسيات العلاقات العربية ،

وحرص على بلورة موقف عربي موحد . وصار يزور رؤساء الوفود الواحد بعد الآخر ، كما تجاوز كل قواعد البروتوكول وراح يستقبل وزراء الخارجية ، بل حتى ذهب في الأروقة الى البعض منهم محاوراً وموضحاً . كل ذلك من أجل أن تحقق الأمة العربية خطوة ، كانت ضرورية جداً ، في تعبئة الموقف السياسي العربي والدولي ضد خيانة السادات ، وضد مؤامرة كامب ديفيد .

وفي مؤتمر هافانا أيضاً طرحت مسألة عدم الانحياز نفسها على المحك . فبسبب الترهل الذي أصاب هذه الحركة وتداخل نفوذ القوى الكبرى فيها ، برزت تيارات تحاول شدها الى هذه الجهة الدولية أو تلك . وهذا يعني في النهاية تعميق الادعاءات بعدم جدوى الحركة ، ومن ثم تدميرها وعودة الاستقطاب الدولي بين القوتين العظميين .

وفي مؤتمر عدم الانحياز في هافانا ، لعب الرئيس صدام حسين دوراً بارزاً في تأكيد المحتوى المستقل والمعادي للامبريالية ، والمحتوى التقدمي والتحرري لحركة عدم الانحياز . وعمل ليل نهار من أجل المحافظة على وحدة الحركة . وفي النهاية نجح المؤتمر بنسبة جيدة في هذا المضمار . وتأكيداً منه لدور العراق الايجابي في الحركة ، واخلاصه لمبادئها ، واستعداده للتضحية من أجلها اختيرت بغداد مقراً للمؤتمر القادم لقمة بلدان عدم الانحياز .

● ثانياً ، في المعركة السياسية الصعبة التي خاضها الرئيس صدام حسين في هافانا اكتشف بأن هناك خللاً خطيراً في العلاقات العربية ـ الافريقية ، وبأن عدداً غير قليل من الزعماء الأفارقة ، حتى منهم الذين يعتبرون من الاصدقاء التقليديين للعرب ، لديهم تحفظات عديدة على طريقة تعامل الدول العربية معهم ، وأنهم بسبب ذلك لم يكونوا مستعدين للسير في نفس الخط الذي أراده العرب في مؤتمر هافانا ضد النظام المصري ومؤامرة كامب ديفيد .

وبعد العودة الى بغداد ، درس هذا الأمر بكل جدية ، وتقرر القيام بحملة نشيطة من اجل اقامة علاقات صداقة وتعاون وثيقة مع أغلب البلدان الافريقية لإشعارها بأن الأمة العربية لا تتعامل مع الدول الافريقية من زاوية جرها الى اتخاذ مواقف مناصرة للقضية العربية فحسب ، وإنما هي تحرص بصدق على إقامة علاقات مثمرة معها ، وعلى تقديم المساعدات النزيهة لها والتي هي بأمس الحاجة اليها ، وبخاصة بسبب الخسائر التي تتعرض اليها من جراء موقفها المناصر للعرب ضد الكيان الصهيوني وحاميته الامبريالية الاميركية .

ومن المعروف أنه ليس للعراق أية مصالح خاصة في افريقيا ، وان هدفه الاساسي في ذلك هو القضية العربية والمصلحة العربية في المواجهة مع العدو الصهيوني والامبريالية .

وخلال الاشهر الماضية شهدت بغداد لقاءات عديدة مع كثير من القادة الافارقة كانت علامة بارزة في النشاط السياسي في المنطقة ، كما كانت أيضاً من الظواهر التي لفتت انتباه واهتمام كثير من القوى الدولية .

وبرغم ان العراق ليس له أرصدة مالية فائضة وليست له ثروات زائدة يبعثرها ، وهو الذي يبني جيشاً قوياً ويخوض غمار خطة تنمية شاملة وطموحة ، فقد اقتطع جزءاً من حاجاته ليقدم مساعدات نزيهة وجدية للدول الافريقية الصديقة محاولاً أن يسهم بإيجابية في تصحيح العلاقات العربية ـ الافريقية ، ولكي يرسخ الموقف الافريقي الذي تبلور في هافانا ضد اتفاقيات كامب ديفيد ونهج السادات الخائن .

هذا ما فعله العراق وقائده صدام حسين في محيط عدم الانحياز وفي المحيط الافريقي .

● أما الدور الثالث ، والأكثر أهمية وضرورة ، فهو تلك المبادرة القومية التي اعلنها الرئيس صدام حسين في ٨ شباط ، أي الاعلان القومي بنقاطه الثماني .

لماذا جاء هذا الاعلان ؟

لقد خلقت عملية احتجاز الرهائن في السفارة الاميركية في طهران ، ومن بعدها التدخل السوفياتي في افغانستان وضعاً جديداً في المنطقة .

وبدون الخوض في محتوى هذين الحدثين في الوقت الحاضر ، فان من أخطر النتائج العملية التي ترتب عليهما هي زيادة التوتر في المنطقة ، وزيادة التوتر بين القوتين العظميين ، وبروز نزعة محمومة لدى الامبريالية الاميركية للتواجد العسكري في المنطقة وللبحث عن قواعد عسكرية أو تأمين ما يسمى بالتسهيلات العسكرية بحجة استخدامها ضد أيران وضد الاتحاد السوفياتي .

وفي هذا الجو ، ومن أجل أن لا يتحول الوطن العربي الى مسرح للصراع الدولي ، ولكي لا يكون أي جزء من الوطن العربي محطة لتواجد القوات الأجنبية المتصارعة على قضايا ومصالح لا شأن للأمة العربية بها، ومن أجل تنظيم العلاقات العربية على أسس قومية سليمة ، ومن أجل تنظيم علاقات الأمة العربية مع الأقطار المجاورة لها ، ومنها ايران ، على اساس حسن الجوار ، والتعاون ، والأخوة ، من أجل هذه الأهداف النبيلة اعلن الرئيس صدام حسين اعلانه في ٨ شباط ١٩٨٠ .

وقد حظي الاعلان خلال فترة وجيزة بموافقة وتأييد غالبية الأقطار العربية ، وتسلم العراق تأكيدات من كثير من هذه الأقطار باستعدادها لتبني الاعلان واعتباره ميثاقاً قومياً تلتزم به بقوة . كما جرت محاولات جدية لعقد مؤتمر قمة عربي لهذا الغرض .

وفي ٢٥ ـ ٢٧ آذار عقد مؤتمر شعبي في بغداد ضم عدداً كبيراً من الأحزاب والحركات والمنظمات والشخصيات العربية ناقشت فيه اعلان الرئيس صدام حسين وأكدت ضرورته للأمة العربية ومعركتها ضد العدو الصهيوني والاخطار المحدقة بها .

وبعد انتهاء المؤتمر الشعبي العربي في بغداد بأربعة أيام بدأت التفجيرات الايرانية ضد العراق وتصاعدات الحملة الايرانية الاعلامية والسياسية . . . والحشد العسكري ضد العراق . وصار العراق ، بعد ان جمد الحكام الايرانيون مسألة الرهائن العدو الأول الذي يركز عليه هؤلاء الحكام . وهذا ليس استنتاجاً،وإنما هو ما قاله المسؤولون الايرانيون أنفسهم .

فمن الذي يستفيد يا ترى من هذا الموقف الايراني ، وفي هذا الوقت بالذات ، ضد العراق الذي يقوم بهذه الأدوار ويتحمل هذه المسؤوليات ؟ .

وكيف يمكن أن نفسر ان « الثورة » الايرانية التي تدعي بأنها مع الاستقلال عن القوى الدولية الكبرى ، توجه سهام التآمر والحقد على القطر وعلى القيادة اللذين يؤكدان نهج الاستقلال الذي جسده اعلان الرئيس صدام حسين وكل النهج السياسي للعراق ، ويقومان بكل هذه المجهودات من أجل تأكيده وترسيخه ؟ .

وكيف يمكن أن نفسر أن « الثورة » الايرانية التي تدعي

بأنها جاءت لتناصر العرب في معركتهم ضد الكيان الصهيوني تقوم بكل هذه الأعمال التي تشغل العراق عن دوره الفعال في المعركة ضد الكيان الصهيوني ، وهو الذي اضطلع بمسؤولية قمة بغداد ونهجها ، وبكل المسؤوليات الكبيرة التي تحملها ، بكل ما فيها من جهد ومن تضحية ؟

ان أي مراقب شريف للأوضاع العربية وللأوضاع في المنطقة لا يمكن ان يجد في موقف حكام ايران ضد العراق إلا الضرر والأذى ، ليس بالعراق فحسب وإنما بالأمة العربية كلها وبالنضال الذي تخوضه ضد العدو الصهيوني بعد خيانة السادات والمخطط الامبريالي الاميركي .

غير أننا لكي نجلي من جانبنا كل الحقائق سنتناول ، وبثقة المخلصين بأنفسهم ، قضية ربما يفكر بها بعض الذين تساورهم الحيرة ازاء الموقف الايراني . تلك هي : ترى هل العراق هو الذي آذى ايران في البدء . فما كان منها إلا رد الاذى؟ .

هذا سؤال مهم وفي الأجابة عنه تفسير لبعض جوانب الموقف المهمة .

من المعروف ان صراعاً حاداً بين العراق وايران نشأ في ظل الشاه واستمر سنوات عديدة ، فمن كان البادىء ؟

في نيسان عام ١٩٦٩ وبينما كانت الثورة في العراق في

سنتها الأولى ، اعلن الشاه ومن جانب واحد الغاء معاهدة ١٩٣٧ التي كانت تنظم الحدود والعلاقات بين البلدين المتجاورين ، ولكي لا ننسى ، وتختلط الأوراق ، فإن الشاه عندما الغى تلك المعاهدة قال انه انما يصحح وضعاً فرض على ايران أيام الاستعمار البريطاني ، وأنه ، أي نظام الشاه ، ما دام قد « تخلص » من السيطرة الاستعمارية فإنه يلغي المعاهدة ويطالب بواقع جديدة في الحدود ، وفي العلاقات ، هذا ما قاله الشاه وليس غيره .

ومنذ ذلك التاريخ وحتى آذار ١٩٧٥ فرض الشاه على العراق الثوري معركة عدوانية بكل ما لديه من وسائل اعلامية ، وسياسية ، وعسكرية . وسعى الى التدخل في شؤون العراق ، ونظمت مخابراته في كانون الثاني عام ١٩٧٠ مؤامرة للإطاحة بالنظام الثوري ، وفتح خزائن ومخازن مخابراته وجيشه أمام زمرة البارزاني للتمرد على الثورة وإثارة الحرب الأهلية .

وفي ذلك الوقت ، ولكي تعرف الحقائق أيضاً ، كان الشاه في إعلامه الموجه الى العراق وفي نشاط مخابراته في الداخل يتستر بالمسألة الدينية ويلعب الورقة الطائفية ، ويحرك بعض المحسوبين على الوسط الديني . وهذه وقائع يمكن أن يعود اليها كل من أراد البحث عن الحقيقة .

وبعد ست سنوات من الصراع ، وبعد أن وجد الشاه ان

مخطط ابتلاع العراق أو تفكيكه ، أو اسقاط ثورته القومية والاشتراكية لا يمكن أن ينجح ، وان الصراع مع العراق سيف ذو حدين يجز في جسم بلاده ، وقواته المسلحة ونظامه ، أصبح ممكناً الاتفاق معه على علاقات التعايش وحسن الجوار ، وتم ذلك في آذار ١٩٧٥ .

ثم ذهب الشاه ، وجاء النظام الجديد .

وبدون الخوض في الاتهامات والمجادلات ، ليس من المستحيل أن تفهم النوايا الحقيقية من الواقع الموضوعي الذي يستطيع تلمسه كل مراقب منصف وشريف .

هل كانت للعراق مصلحة في إيذاء ايران بعد قيام الثورة لكي تبدأ بإلحاق الأذى به ؟

لا ... وألف لا ...

ان النظام في العراق نظام قومي واشتراكي ، يؤمن بمبادىء حزب البعث العربي الاشتراكي ويحمل أهدافه ، وأهداف حزب البعث ليست « اممية » ، وإنما هي أهداف قومية ، لذلك ، فمن الناحية المبدئية ليس للعراق شأن خاص في أي خيار سياسي أو فكري يختاره الايرانيون ، على شرط أن لا يكون في ذلك الخيار ما يؤدي الى اثارة النزاعات بين البلدين الجارين والى اثارة النزعات العدائية ضد العراق والأمة العربية .

وبالأضافة الى ذلك فإن العراق ، ومن خلال كون نظامه نظاماً ثورياً واشتراكياً ، يرتاح أكثر اذا ما جاء الى البلاد المجاورة من يقترب منه في المبادىء وفي الاتجاهات ، فذلك يوفر ظروفاً للتعاون في المنطقة أفضل من الظروف التي تنشأ عن وجود انظمة متباعدة في تكوينها الفكري والاجتماعي والسياسي وفي طبيعة علاقاتها ومواقفها الدولية .

ومن الطبيعي ان نقول ان اقرب الخيارات الى مبادىء حزب البعث والى مصلحة العراق العربي ان يكون خيار الدول الاسلامية السياسي والاجتماعي والفكري هو التأكيد على الهوية الاسلامية لأن الشعوب الإسلامية عندما تعمق هويتها الإسلامية لا بد من أن تضم جهودها الى جهود العرب في معركتهم ضد الصهيونية .

وفي ذلك أمثلة حية :

عندما ابتعدت تركيا عن روح الاسلام ، وضيعت هويتها الاسلامة بحجة العلمانية والالتصاق بالحضارة الغربية ، ابتعدت كثيراً عن العرب . بل استخدمت في أوقات عديدة ، وبخاصة في الخمسينات ، ضد الأمة العربية وحركتها التحررية ، وأقامت علاقات مع الكيان الصهيوني كان فيها اضرار بالأمة العربية .

وكذلك الأمر بالنسبة لايران في عهد الشاه ، الذي حاول

أن يفسر ايران على التغرب والابتعاد عن الهوية الاسلامية ، وصار في الواقع والنتيجة عدواً للأمة العربية وحليفاً لأعدائها ، في حين ان الباكستان ، حتى في الوقت الذي كانت فيه طرفاً في حلف بغداد وفي حلف السنتو فيما بعد ، وبسبب عدم تخليها عن الهوية الاسلامية كانت دائماً قريبة من العرب وتساندهم في قضاياهم ، وترفض إقامة أي شكل من أشكال العلاقة مع الكيان الصهيوني .

ولقد قامت الثورة في ايران في الوقت الذي كان فيه العراق يضطلع بمسؤولياته الناجمة عن قمة بغداد وميثاق العمل القومي مع سوريا . وفي ذلك الوقت كان احوج ما يكون فيه الى الراحة والاستقرار على حدوده الشرقية ، لكي يتمكن من تحمل تلك المسؤوليات التي اختارها بنفسه وبإرادته ، ولم يرغمه عليها أحد . كما كان احوج ما يكون الى أية قوة جديدة تضاف الى موازين القوى في المنطقة ضد التحالف الساداتي ـ الصهيوني ـ الامبريالي .

ثم أي نفع سياسي ، أو اقتصادي ، يمكن أن يحققه العراق في إيذاء ايران ، وأي حاجة يفتقر اليها العراق يمكن أن يؤمنها من خلال الصراع معها ؟ .

لا شيء على الاطلاق ، ان في الصراع خسارة كاملة ، ولا يقابل هذه الخسارة أي قدر من الربح ، ولا يمكن للعراق أن

يخوضه إلا اذا فرض عليه ، وكان دفاعاً عن هويته الوطنية والقومية .

فاذا كان الأمر كذلك بالحقائق الموضوعية المجردة ، واذا كان في العراق ، كما هو معروف ومشهود له ، قيادة مسؤولة وحكيمة اثبتت عبر اثني عشر عاماً قدرة فائقة على مواجهة الصعاب وتخطي الانفجاج ومعالجة المعضلات ، فهل يمكن أن تخطىء مثل هذه القيادة في معركة من هذا النوع إلا اذا كانت قد فرضت عليها ؟ .

قد يقول قائل ، ولكن العراق قد أثار مسألة الجزر الثلاث والأحواز واتفاقية شط العرب ، وأن في ذلك استفزازاً لإيران يدفعها الى الرد بهذا الشكل أو ذاك .

نعم . لقد أثار العراق قضية الجزر ، وقضية الاحواز ، وقضية شط العرب . وهل من المستغرب ان يثير العراق مسألة اعادة الجزر العربية الثلاث التي احتلها شاه ايران بالقوة العسكرية والغطرسة الامبراطورية التوسعية ، وبالتواطؤ مع الاستعمار البريطاني والامبريالية الاميركية ، أم ان الأكثر اثارة للاستغراب ان « الثورة » الايرانية ، وهي التي تقول انها قامت لاقتلاع نظام الشاه من جذوره ، وتغيير كل سياسته ومظالمه ، لم تعلن منذ البداية عن عزمها على ازالة الاستعمار الشاهنشاهي عن هذه الجزر ؟ .

ان الذي حدث ، وبعد محاولات لفلفة قضية الجزر والتعمية على موقف النظام الايراني الجديد منها ، هو أن رئيس النظام الايراني نفسه قد اعلن بصراحة ووضوح كما اعلن من قبله الشاه بتسع سنوات ان هذه الجزر « ايرانية » وأنه لن يتخلى عنها .

فمن الذي يلام في ذلك ؟ .

أما بالنسبة للاحواز ، فإن الذي حدث هو ان الشعوب الايرانية طالبت بعد قيام « الثورة » التي اطاحت بالنظام الشاهنشاهي الديكتاتوري المتعصب ، والذي كان قد فرض عليها طيلة عشرات السنين تسلطاً عرقياً فارسياً ، وانكر خصائصها القومية ، وحرمها من حقوقها المشروعة في اطار الدولة الايرانية ، طالبت بوضع جديد ، في ظل هذه « الثورة » . وكان عرب الاحواز من بين هذه الشعوب التي ظنت بأنها تطالب بحق طبيعي ومشروع ، فاذا بالحقد والكراهية والدمار ينصب عليها من القيادات الجديدة ، تماماً كما فعل الشاه من قبل . ولا نقول أكثر .

فموقف من هو الذي يثير الاستغراب والأذى ؟ أهو موقف العراق الذي أيد المطاليب الطبيعية والعادلة للشعب العربي في الاحواز في نوع من الحكم الذاتي في اطار الدولة الايرانية الموحدة ؟ .

أم أن الذي يثير الاستغراب هو ان تنكر « الثورة » الايرانية على شعب الاحواز وبقية شعوب ايران ، مطاليبها العادلة والبسيطة هذه ، وتنزل بها الويل والدمار ؟ .

ثم هل كان العراق في ذلك متناقضاً مع مبادئه ، فيطلب من غيره ما لا يرضاه لنفسه ، أم ان « الثورة » الايرانية هي التي تناقض أقوالها بأفعالها ؟ .

ان العراق الذي يؤمن بأن من الطبيعي ان تحظى الشعوب الايرانية بصيغة للحكم الذاتي ، في اطار الدولة الايرانية الواحدة ، قد طبق هذا المبدأ على نفسه ، ووفر للأكراد العراقيين صيغة للحكم الذاتي مارسوها في اطار الوطن الواحد .

فمن يا ترى يناقض من في هذا ، ومن يؤذي من ؟ .

ان من طبيعة الأشياء في الثورات التحررية التي تقوم على انقاض أنظمة استعمارية وديكتاتورية وتعسفية ان تقدم برنامجاً جديداً تعلن فيه رفع السيطرة الاستعمارية عمن استعمره النظام السابق ، كما تعلن فيه رفع الضيم والقهر عمن تعرض لها في ظل النظام البائد . وقد يكون من حق الثورة ان تطالب بالوقت كي تحقق برامجها . وقد يكون من حقها ان تحاور المطالبين في شكل مطاليبهم وحجمها . ولكن لا تكون « ثورة » تلك التي تنكر أصلاً كل هذه المطاليب ، وتصر على ابقاء الأوضاع على ما كانت عليه في النظام السابق .

وهذا المبدأ ينطبق أيضاً على قضية شط العرب .

لقد فرضت ظروف الصراع بين العراق وايران ان تكون هناك صيغة في شط العرب لا تتناسب مع حقوق العراق التاريخية ومصالحه في هذا الشط . وقد تم هذا يوم كان يحكم إيران نظام امبراطوري توسعي تسانده الامبريالية الاميركية مساندة كاملة في عدوانه على الأمة العربية وعلى العراق . فلماذا لا يكون طبيعياً أن ينظر النظام « الثوري » الجديد الذي يدّعي الاخوة مع العرب في إعادة حقوق سلبها النظام البائد ؟ .

من يناقض نفسه هنا ؟ هل هو المطالب بحق أخذ منه من قبل ظالم مستبد ، أم هو الذي يقول انه قد ثار على كل ما يمثله ذلك الظالم المستبد ، ولكنه يصر على الاحتفاظ بكل مكتسبات ذلك الظالم المستبد ، في الجزر ، وفي شط العرب . ويبقي على سياسات ذلك الظالم المستبد إزاء شعوب ايران ومنها شعب الاحواز العربي . ويستشيط غضبا وحقداً عندما يذكره بذلك احد ؟ .

ليس صعباً أبداً على كل منصف وشريف وعاقل أن يعرف من الذي يناقض نفسه في هذه ، وفي تلك .

ان ركام الاتهامات والأوراق المختلطة ومحاولات تداخل الخنادق لا يمكن أن يخفي الحقائق البسيطة الواضحة التي يراها كل بصير ويفهمها كل عاقل .

ان الحقيقة التي سيذكرها التاريخ هي أن العراق من منطلقه القومي المبدئي الصافي ، وببصيرته النافذة النابعة من اخلاصه للمبادىء ، قد استشعر في وقت مبكر جداً زيفاً وتناقضاً فيما تقوله القيادات الايرانية الجديدة . وقد سعى مخلصاً لأن يعرف الحقيقة وان تعرفها الأمة العربية . وكان في ذلك سباقاً . وبرغم كل ما تعرض اليه من اتهام ومن ظلم ، من بعض الأخوة ، ومن الاقربين ، ولا نقول الاعداء ، فقد تبين بعد اشهر قليلة ان ما طرحه العراق كان مشروعاً لأن الحقيقة ظهرت سوداء . . . سافرة .

ان العراق لم يفتح على « الثورة » الايرانية معركة ولم يلحق بها أذى ، وإنما هو وضعها باخلاص وبحسن نية أمام مسؤولياتها فردت عليه بهذا الحقد ، وهذا الأذى الذي نراه ونعيشه .

ان العراق قد طالب بحسن نية ان تغير ايران بعد الثورة سياسات الشاه التي ابتلي بها العرب ، فاذا بحكام ايران بعد « الثورة » يؤكدون انهم وسلفهم في هذا سواء بسواء .

* * *

اننا عندما نثبت بالوقائع والمنطق ان العراق لم يكن البادىء في اشعال الصراع بينه وبين ايران لا نريد اجلاء حقيقة غامضة ، وإنما نريد ان نريح ضمائرنا ، وضمائر اشقائنا العرب ، ونزيل

أي احتمال للوم النفس في هذه المسألة . فلربما يقول قائل : « لماذا فجرتم الصراع في وجه ثورة ناشئة وهي تعاني ما تعاني من المصاعب والتحديات ؟ » .

أما الحقيقة فهي ان الحكام الايرانيين أنفسهم قد حسموا هذا الأمر ، وصاروا يتبجحون بأنهم هم الذين اشعلوا الصراع عن قصد وتصميم ، فهم لم يعودوا يعتمون على هذه المسألة كما حاولوا ذلك في الأشهر الماضية ، وإنما قالوها اخيراً صريحة وواضحة . وفي مقدمتهم رئيس الجمهورية بأنهم يسعون الى « تصدير الثورة الايرانية » ، وانهم يعتبرون ذلك كما قال بني صدر أمراً حيوياً لبقاء « ثورتهم » واستمرارها .

كما ان الرئيس الايراني نفسه اعلن صراحة انه يرفض الحوار والوساطة لحل المشاكل مع العراق .

فالحملة التي تشنها ايران ضد العراق اذن ما هي إلا نتيجة من نتائج خطة ما يسمى بـ « تصدير الثورة » وليست جواباً عن موقف مزعوم اتخذه العراق ، أو فعل نسب اليه ، أو ملابسات أحاطت بالعلاقة بينه وبين ايران . واذا كان الأمر كذلك ، فكيف يمكننا فهم الموقف ؟ .

ومن اجل الوصول الى الحقيقة علينا أن نناقش كل الاحتمالات بدون حساسيات ، لأن الواثق من نفسه ومن كون الحق الى جانبه لا يخشى البحث في اي احتمال أو افتراض .

لنفترض ان الحكام الايرانيين الذين عجزوا عن مواجهة القضايا الرئيسية التي فجرتها الثورة ، والذين وصلوا في قضية الرهائن الى طريق مسدود يحاولون تحت شعار « تصدير الثورة » ان يصدروا مشاكلهم الى الخارج تعبيراً عن الفشل في الداخل وكسباً للوقت ، أو محاولة منهم لترميم الجبهة الداخلية المتهدمة بإثارة عداء وهمي .

واذا كان الأمر كذلك ، فهل من الخلق أن يفعل الحكام الايرانيون ذلك ؟ .

لقد عطف العرب على الثورة الايرانية ، وتمنوا لها النجاح ، واستبشروا بما اعلنته من هوية اسلامية لما يعنيه ذلك من تقرب منهم ، وضم لجهود ايران الى جهودهم في النضال ضد الصهيونية .

فهل من الخلق والوفاء أن يعتبر الحكام الايرانيون ارض جيرانهم العرب ساحة يرمون اليها نفايات تجربتهم المليئة بالصراعات والمتناقضات ؟ .

وهل قال احد من أصدقاء حكام ايران الذين يروجون لهذا التفسير ان في تصرفهم هذا ، بالأضافة الى ما ينطوي عليه من معاني انعدام الخلق والوفاء ، خطأ كبيراً في الحساب والتقدير ، لأن الساحة العربية برغم كل ما تعانيه من سلبيات لا يمكن ان ترضى بأن تصبح ساحة نفايات للآخرين ، وأن هناك من يذود

عن الأرض العربية بشرف وإباء ومقدرة .

ثم اذا كان الحكام الايرانيون قد وجدوا أن بإمكانهم أن يتسلوا بتجاربهم في داخل إيران، فهل الوضع في البلدان المجاورة للكيان الصهيوني في الجزيرة والخليج يسمح بمثل هذه التسليات والتجارب ؟ . . أم ان العدو الصهيوني الذي نجح حتى الآن في اخراج مصر من المعركة ، وفي اثارة الانفجار الطائفي في لبنان سيستغل اية ثغرة تنشأ عن الخطة الايرانية هذه ، وسيكون هناك بالتأكيد الف ثغرة ، من اجل تنفيذ كامل مخططه بالسيطرة على المنطقة من النيل الى الفرات ؟ . . .

ان حكام ايران يتجاهلون حقيقة كبيرة لأن الغرور قد اعماهم ، ولأن الأصابع التي تلعب في داخل ايران تسعى بكل الوسائل الى تغطية هذه الحقيقة ، ولأن بعض الانتهازيين الذين يكيلون لهم المديح لا يشرحون الحقائق لـ « أصدقائهم » الايرانيين ، وإنما يعزفون على أوتار نزقهم وغرورهم ، فيزيدونها بدلاً من توعيتهم وارشادهم الى طريق الصواب .

ان الحكام الايرانيين لا يعرفون انهم بعد اكثر من سنة على نجاح ثورتهم قد جعلوا من بلادهم مسرحاً للألاعيب القوى الدولية الطامعة ، وان قدرتهم على التسلي بتجاربهم المتناقضة والمرتبكة اساسها عاملان : أولهما استمرار تدفق البترول . وثانيهما ان القوى الدولية المتصارعة في المنطقة يراهن كل منها على

هذا الاحتمال أو ذلك في الأوضاع المضطربة في ايران . وبعد ان تنضج الظروف لصالح أي طرف من هذه الأطراف ، فلن يكون هناك وقت كثير يتسلى به هؤلاء السادة ، اذا هم لم ينتبهوا الى اوضاعهم ولم يغيروا سياساتهم هذه .

هل بصر اصدقاء الحكام الايرانيين أصحابهم بذلك ، وقالوا لهم أحذروا الغرور وانتبهوا الى حالكم ، فأنتم تهيئون الأوضاع في بلادكم لكي تسلموها الى القوى الدولية الطامعة فيها بقصد أو بدون قصد ؟ .

ولننتقل الى احتمال آخر . . .

لنفترض ان حكام ايران « اصحاب مبادىء » وانهم يشعرون بأن لهم الحق في تعميم تجربتهم على البلاد الاسلامية ، لنقل على سبيل الافتراض أيضاً ما يدعيه الحكام من أنهم بتعميم تجربتهم هذه يستهدفون القضاء على الصهيونية والامبريالية .

ولكن . . . لكي يكون مشروعاً ومبرراً تصدير تجربة ما واقناع الناس بأنها ستوفر لهم القوة والقدرة على القضاء على اعداء اقوياء مثل الصهيونية والامبريالية ، لا بد لأصحاب تلك التجربة من ان يحققوا نجاحاً بارزاً ومقنعاً في حل المشكلات والقضايا الرئيسية التي تواجههم ، وان يخلقوا قوى وامكانات مادية ومعنوية قادرة على مواجهة الاخطارو والتحديات التي تحدق بالتجربة المعنية نفسها .

فهل استطاع حكام ايران الذين يلحون الحاحاً محموماً على تصدير تجربتهم إلى الاقطار العربية ان يفعلوا ذلك في ايران نفسها ؟ .

ان السمات البارزة في الأوضاع في ايران في ظل هؤلاء الحكام هي ما يأتي :

- تفكك القدرة العسكرية لايران .
- تعدد مراكز التأثير والقرار وانعدام السلطة المركزية الحقيقية ، وانفجار التناقضات والاتهامات المتبادلة بين الزعامات السياسية والدينية .
- انفجار الصراعات بين الشعوب الايرانية غير الفارسية وبين القيادات الحاكمة ، وعجز شامل عن حل مشاكل القوميات .
- شيوع الفوضى والاضطراب وانعدام الأمن .
- تعطل الانتاج ، وانهيار الأوضاع الاقتصادية ، وتزايد رهيب في البطالة وفقدان اكثر المواد المعيشية .
- فوضى في العلاقات مع بلدان المنطقة وعلى الصعيد الدولي .

هذه هي الأوضاع في ايران اليوم . فهل يريد الحكام

الايرانيون تصدير كل هذه الأوضاع القائمة في ايران الى الاقطار العربية تحت شعار القضاء على الصهيونية والامبريالية ؟ .

لنتصور أن هؤلاء السادة قد حققوا احلامهم بتصدير تجربتهم الى كل بلدان المشرق العربي ، لأن المنطق يشير الى انه لا يمكن التصدي للكيان الصهيوني بدون الاحاطة به جغرافياً ، وإلى كل بلدان الجزيرة والخليج لأن فيها مصالح اساسية لا يمكن التصدي للامبريالية بفعالية من دون السيطرة عليها وتوجيهها ضد الامبريالية .

لو تصورنا ان هذه الاحلام تحققت وصارت الأوضاع في هذه البلدان مثل ما هي عليه في التجربة الرائدة في إيران . . . لو تصورنا ان الجيوش العراقية والسورية والاردنية قد تفككت ، وانفجرت في هذه الاقطار وفي الجزيرة والخليج الصراعات المذهبية والسياسية والعرقية ، وعمت الفضوى واضطراب الأمن ، وتعطل الانتاج ، وتأججت التناقضات السياسية والاجتماعية فمن الذي سيقضي عليه في هذه الحالة الصهيونية والامبريالية ؟ . . . أم الأمة العربية . . وكل مكتسبات النضال العربي والبناء العربي ؟ .

لا أظن اننا نحتاج الى عناء كبير لنجيب عن هذا السؤال .

لقد سعت الصهيونية ومن ورائها القوى الامبريالية طيلة

عشرات من السنين بالحرب المباشرة ومن خلال شبكات التجسس المتنوعة ، وعن طريق زرع الفتن واثارة الاضطرابات ومن خلال وسائل الاعلام والثقافة المعادية . . . سعت الى تفتيت الوطن العربي ، واشاعة الاحتراب بين ابنائه بهدف شل قدرته على النهضة والوحدة وبناء كيان قوي قادر على التصدي للكيان الصهيوني ومشاريعه التوسعية . وعلى الرغم من انها حققت اهدافاً مهمة ضد الأمة العربية باحتلالها لكل ارض فلسطين ولبعض الاجزاء العربية الاخرى وبإثارتها الأوضاع المتفجرة في لبنان وجرها السادات الى صف الخيانة . . على الرغم من كل ذلك فإن الأمة العربية لم تستسلم امام المخطط ـ الصهيوني ـ الامبريالي ، وهي ما تزال تقاوم ، وتعد نفسها لمواجهة الكيان الصهيوني ومؤامرات الامبريالية .

فهل يحقق مشروع حكام ايران قوة مضافة للأمة العربية في معركتها هذه ، أم ان تنفيذ هذا المشروع يحقق ، من حيث يدري هؤلاء الحكام أو لا يدرون ، كثيراً مما سعت اليه الصهيونية والامبريالية ؟ !

ان نجاح مشروع حكام ايران بتفكيك القوة العسكرية العربية وتفجير الصراعات المذهبية والسياسية وما قد ينتج عنه من تحطيم للكيانات الحالية يعني ان « الدولة اليهودية » التي كانت حتى الآن جسماً غريباً في الوطن العربي ، ومرفوضاً من القوى القومية العربية ستتحول الى واقع منسجم مع الواقع الذي يراد

نشره وتعميمه ، وهي لن تكتسب « المشروعية » التي افتقدتها طيلة سنوات عديدة من قيامها فحسب ، وإنما ستصبح بكل تأكيد وبصورة حاسمة الدويلة الأقوى بين كل الدويلات والكيانات الصغيرة والمتصارعة التي ستقوم في المشرق العربي اذا ما نجح مشروع حكام ايران . كما ان مشروع القيادات الانعزالية في لبنان سيكتسب هو الآخر المشروعية التي ما يزال يريد الحصول عليها بأي ثمن .

فأي فائدة ستتحقق للأمة العربية وهي تخوض الصراع ضد الصهيونية والامبريالية برغم كل سلبيات الموقف الحالي من خطة تصدير التجربة الايرانية ؟ . ولمصلحة من يعمل حكام ايران الذين يلحون الحاحاً محموماً على هذه الخطة ؟ . . ومن الذي يزين لهم ذلك ؟ .

وقد يقول قائل : انكم تعترفون بوجود الفساد والسلبيات في الأوضاع العربية الراهنة . ولما كنتم ثوريين تناضلون ضدها ، فلماذا تنكرون على الثورة الايرانية ان تحاول هي الأخرى ازالة الفساد والسلبيات ؟ .

اننا لا ننكر على احد دوره ، ولكن لكي تكون اية محاولة للنضال ضد الفساد والسلبيات مجدية ونافعة لا بد من أن يكون مسارها في هذا الاتجاه ، وأن تكون مقتدرة عليه .

ان النتائج المتوقعة للخطة الايرانية ، وكما أشرنا ، تحقق

الهدم بالتأكيد . فهذا ما نجحت فيه الثورة في إيران حتى الآن . ولكن ليس هناك في التجربة الايرانية ما يؤكد القدرة على البناء والتوحيد بما يؤدي فعلاً الى اجتثاث الفساد وتغيير السلبيات وبناء قدرة عربية ثورية تتمكن من التصدي الفعال للصهيونية والامبريالية ومخلفاتها في الوطن العربي .

فهل نعالج الفساد والسلبيات بهذا الأسلوب الذي تطرحه التجربة الايرانية ؟ هل نعالجه بالهدم ، وإشاعة الفوضى ؟ .

لا أظن ان عربياً مخلصاً يرضى بأن يكون الحل هكذا .

ثم اذا كان حكام ايران يناضلون كما يدعون ضد الفساد والسلبيات ، فلماذا يركزون كل جهدهم على نظام اعترف له الخصوم قبل الاصدقاء بأنه قومي ونظيف ومستقل ، في حين يجامل هؤلاء الحكام ويحالفون انظمة فاسدة ومعزولة عن الشعب ، وتدور حولها الشبهات ، بل تقوم ضد بعضها انتفاضات ذات هوية اسلامية وعلى نطاق واسع ؟ .

مهما يحاول المرء ان يجد لما يفعله حكام ايران عذراً مشروعاً ، أو يجد فيه عملاً ذا نتائج خيرة ولو بعد حين ، فإنه لا يجد العذر ، ولا يستشرف الخير .

وليس فيما نقول نحن من موقع التضاد مع هؤلاء . فلنتابع فقط ما يقوله الحكام الايرانيون في بعضهم البعض ، وما يصف به

بعضهم أفعال البعض الآخر . لنتابع سيل التناقضات والاتهامات التي تصل الى حد الادانة بالعمالة . ومن خلال ذلك يمكن ان نكتشف نوعية الزعامات التي تتحكم في مصائر ايران ، والحالة التعيسة التي يعيشها هذا البلد ، والمآل الأسود والمدمر الذي يمكن ان يصل اليه وتصل اليه المنطقة اذا ما تمكن هؤلاء الحكام من ارضاء نزواتهم وبلوغ احلامهم .

ان « الثورة الايرانية » التي حظيت باعجاب كبير لدى كل المحبين للحرية في مرحلة النضال ضد نظام الشاه قد فقدت بريقها ، وحيرت اصدقاءها قبل اعدائها ، وصار الوضع الراهن الذي اوجدته الزعامات الايرانية في ايران مسرحاً لكل الاحتمالات السيئة والخطرة ليس على ايران وشعوبها المسكينة التي لم تذق طعم الحرية والاستقلال بعد عشرات السنين من القهر ، والظلم ، والانسحاق فحسب ، وإنما على المنطقة بأسرها ، وبخاصة على الأمة العربية التي تخوض أدق وأشرس معركة في العصر الحديث ضد التحالف الصهيوني الامبريالية وضد خيانة حاكم اكبر قطر عربي .

ان بعض المسؤولين العرب ، وبعض الأوساط السياسية العربية تخفي رؤوسها في الرمال كما تفعل النعامة ، وتتصرف وكأن ليس هنالك ما يدعو الى القلق ، ومن ثم العمل المسؤول .

اننا هنا سنتحدث بشيء من الصراحة ، وليس بكل الصراحة ، لأننا لا نريد الاساءة ، وإنما نريد بلورة موقف عربي مخلص من هذه المسألة ، كما نريد ايضاً كشف شيء من الزيف في مواقف بعض العرب ، وليس كل الزيف . . .

قبل كل شيء نريد ان نقول انه اذا ما ظن احد أو توهم بأن الثورة في العراق التي يقودها حزب البعث العربي الاشتراكي وصدام حسين « تخاف » على كيانها مما يسمى بتصدير الثورة الايرانية فإنه لعلى وهم كبير .

ان الوضع في العراق ليس « سلطة » بالمعنى التقليدي لـ « السلطة » ، وإنما هو ثورة وطنية وقومية واشتراكية وديمقراطية تشمل كل ميدان من ميادين الحياة ، وتغوص في كل خلية من خلايا المجتمع . وخلال اثني عشر عاماً من التغيير الثوري العميق والشامل ، ومن العمل المخلص لبناء الوطن وخدمة الشعب ، خلق عراق جديد يشعر فيه الملايين انه عراقهم ، وان ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز هي ثورتهم ، وأن حزب البعث هو حزبهم ، وان صدام حسين هو قائدهم وفتاهم .

وحزب البعث العربي الاشتراكي ليس منظمة سياسية تقليدية ، وإنما هو خلايا من الثوريين الشجعان الذين أتوا من اعماق الريف في شمال العراق ووسطه وجنوبه ، ومن اعماق الاحياء الكادحة في مدنه .

فهم خبراء التنظيم السري ، وهم منظمو المظاهرات ، وهم منظمو الاضرابات والانتفاضات والثورات المسلحة ، وهم أبطال التحدي للظالمين والمنحرفين ، فالبعثيون هم الذين كانوا امل الشعب في التصدي لحلف بغداد وطغيان نوري سعيد . والبعثيون هم الذين كانوا فرسان النضال ضد الديكتاتورية القاسمية وضد طغيان الحزب الشيوعي العراقي والعناصر الشعوبية في عام ١٩٥٩ وما بعده . والبعثيون هم الذين صنعوا أول ثورة مسلحة يقودها حزب جماهيري ثوري في الوطن العربي عندما ثاروا في شباط عام ١٩٦٣ ، وهم الذين قادوا الثورة الثانية في عام ١٩٦٨ ، ضد النظام العارفي الرجعي المتعفن . هؤلاء هم البعثيون . . . وعندما يكون البعثيون هكذا فلا خوف عليهم .

أما قائد المسيرة صدام حسين فإنه ليس سياسياً وصل الى الحكم عن طريق الوراثة ، أو بالانتخابات النيابية المزورة . . . انه « الفتى » الذي بدأ نضاله السياسي فدائياً حمل بندقية في شارع الرشيد في بغداد ليلقن الديكتاتور الشعوبي عبد الكريم قاسم درساً قاسياً ، وهو المناضل الذي حكم بالاعدام ، وقاد خلايا التنظيم السري المدنية والعسكرية للحزب بعد ردة تشرين ١٩٦٣ ، ودخل السجن عام ١٩٦٤ وهرب منه وواصل مسيرة النضال ودوره القيادي حتى انتصرت الثورة في ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨ . انه المناضل ، والمنظم ، والمفكر ، والقائد .

فليس حزب البعث هو الذي يخاف ، وليس صدام حسين هو الذي يخاف .

واذا كان احدهم يتوهم ان بالامكان استغلال الوضع المذهبي في العراق لتهديد وحدة العراق ، أو للنيل من عروبة ابناء العراق فانه لعلى وهم كبير .

ان العراق قطر له ، في اطار التاريخ العربي ، تاريخ طويل . وتاريخه يشير عبر الوف السنين الى انه كان دائماً قلعة للعروبة وسياجاً لها يذود عنها غزوات الفرس وغيرهم من الأقوام الطامعة . ولو كانت عروبة العراق وأهل العراق معرضة للانكسار لكان العراق تفتت منذ عدة قرون ، أو لكان تفتت في العصر الحديث قبل عشرين عاماً في إبان الحكم القاسمي والمد الشيوعي . ، ولما انتظر عشرين عاماً أخرى لتأتي الزعامات الايرانية ومن خارج الحدود ، وهو في ظل ثورة البعث وقيادة صدام حسين ، لتنال من وحدته وعروبته .

ان العراق الذي يضم مذاهب متعددة في اطار الاسلام وأدياناً عديدة وخصوصيات قومية معروفة في إطار الوطن ، هو وحدة متماسكة غير قابلة للتجزئة . وكل من يتوهم انه قادر على النيل منه مدعو لأن يجرب اذا اشتهى ان يجرب .

ان المسألة ليست خوف الحزب وخوف الثورة على كيانهما مما يجري في ايران ، ومما يهدد به الحكام الايرانيون .

ان العراق بما يتحمله من مسؤولية قومية يخشى على الأمة العربية مما يمكن ان تتعرض اليه من شرور ، من جراء الوضع الذي يريد الحكام الايرانيون فرضه على المنطقة ، ومن جراء المواقف الانتهازية والمتناقضة الى حد الشبهة لبعض القيادات والأوساط السياسية العربية ، التي تتصرف بشكل يشجع الحكام الايرانيين على الغرور ، والتمادي في الانحراف ، بدون وازع من مسؤولية .

ان كثيراً من القيادات الحاكمة والاحزاب السياسية تتصرف من الأوضاع في ايران تصرفاً لا يمكن ان يخضع لمنطق . ولنتناول في ذلك بعض الأمثلة .

. . . لا يمر يوم منذ قيام « الثورة » في إيران وحتى هذه الساعة إلا ويصدر تصريح من خميني ، أو بني صدر ، أو قطب زادة ، وغيرهم من حكام ايران يدينون ويشتمون فيه الشيوعية واحزابها والاتحاد السوفياتي . وهذا امر يعرفه الجميع .

وفي المقابل نجد منظمات شيوعية مثل منظمة نايف حواتمة ، واحزاباً شيوعية مثل الحزب الشيوعي العراقي وغيره يشيدون بهؤلاء السادة الذين يشتمونهم ويرددون في صحافتهم ما يلفقه الحكام الايرانيون من افتراء على الثورة في العراق ، وعلى حزب الثورة في العراق ، وقيادته القومية الثورية .

* * *

مثال آخر . . .

ان الإعلام الايراني يوجه حملة حاقدة مسمومة ضد حزب البعث العربي الاشتراكي ، وضد العقيدة القومية ، ويتهم بني صدر القومية العربية صراحة بأنها « صهيونية » الى آخر الاتهامات المعروفة .

وفي سورية نظام يدعي انه نظام « حزب البعث العربي الاشتراكي » ، ويدعي بأنه يقوم على اساس « العقيدة القومية » . ومع هذا فإنه يتغافل عن الشتائم « العقائدية » الايرانية ، ويتحالف مع حكام ايران ضد العراق .

* * *

مثال ثالث . . . .

إن العقيد القذافي متهم بتصفية موسى الصدر . والزعامات الايرانية ما تنفك تثير هذه المسألة وتبتز الحكومة الليبية بسببها . فما ان تطوى القضية اسبوعاً ، حتى تثار اسبوعاً آخر . وبعد أن « يبرىء » خلخالي القذافي من دم الصدر يتخذ الايرانيون قراراً بتشكيل لجنة ايرانية على مستوى عالٍ لإعادة التحقيق في القصة ، ثم يؤجلون اعمال اللجنة . وهكذا . . والزعامات الايرانية ترفض حتى الآن إقامة علاقات دبلوماسية مع دولة القذافي . اما القذافي فإنه لا ينفك يكيل المدائح لـ « الثورة »

الايرانية ويصفها بأنها امتداد لـ « ثورته » هو . . .

* * *

ما هو تفسير هذا الوضع الشاذ وما هو المقصود من هذه العملية المعقدة لخلط الأوراق وتشابك الخنادق ؟ . . .

اليس غريباً حقاً ان الأطراف الثلاثة التي أشرنا اليها ، الشيوعيين ، والنظام السوري ، والنظام الليبي ، وهي أطراف تدعي أنها « عقائدية » . . . « وعقائدها » هذه تشتم صباح مساء على لسان حكام النظام الايراني ، وان هذه الجهات « العقائدية » الثلاث تتصرف وكأنها لا تدري ولا تسمع ، وتكيل المديح لهؤلاء الحكام وتنافقهم ؟ .

اننا لن نفسر مواقف السادة « العقائديين » هؤلاء ، فعليهم هم أن يفسروا موقفهم لمن ينتمي الى « عقائدهم » . . ولكننا نلمس على الأقل حالة شاذة هي إحدى الحالات التي تشجع الحكام الايرانيين بما فيهم من مغرورين ومهووسين ، ومشبوهين على التمادي في تصرفاتهم الضارة ، وأحلامهم المريضة ، ومخططاتهم المشبوهة لأنهم عندما يجدون أمامهم مثل هذه الحالات والنماذج ، لا يمكن أن يحتملوا موقف العراق القومي المبدئي المتماسك المنسجم مع نفسه ، ومع عقيدته ، ومع مصالح أمته العربية ، فيصابون بهستيريا كالهستيريا التي تتجسد

في أقوال وأفعال هؤلاء الحكام اليوم ضد العراق ، وضد اقطار الخليج العربي ، أي ضد العرب الأقربين ، لأنهم يجدون النفاق والتهالك من بعض اولئك « العرب » الابعدين .

فماذا يراد بالمنطقة وبالأمة العربية وبقضاياها المصيرية في الوحدة والاستقلال ، وتحرير فلسطين من عملية خلط الأوراق ، وتشابك الخنادق هذه ، وهي عملية لم يسبق للأمة أن واجهتها بمثل هذا التعقيد ، وهذا التعتيم ، وهذا الزيف ، وهذا النفاق ؟ .

ومن الذي يقف وراء هذه العملية الواسعة ، والمعقدة ، والتي لم يسبق لها نظير ؟ !

من الذي يقف وراء وضع الاسلام في موقع التصادم مع القومية العربية الثورية والاشتراكية ، وفي موقع النفي لها ؟ . . .

لماذا يتجرأ بني صدر على وصف القومية العربية بالصهيونية ؟ . . . أو لم تكن القومية العربية الراية التي ناضل العرب تحت لوائها ضد حكم العثمانيين وتعصبهم الشوفيني ؟ .

أو لم تكن القومية العربية بمضمونها التحرري التقدمي التي حملها المناضلون القوميون الأوائل ، وحزب البعث العربي الاشتراكي ، وجمال عبد الناصر ، والثورة الجزائرية هي القوة المحركة للجماهير ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي وضد

الأحلاف العسكرية الاستعمارية ؟ .

أو لم تكن القومية العربية هي القوة الثورية وراء النضال العربي والنضال الفلسطيني ضد الصهيونية والامبريالية ؟ . . . .

فلماذا اذن يراد تشويهها وحرقها بهذا الأسلوب ولمصلحة من ؟ . . .

وكيف يمكن أن نفهم هذا التحالف المكشوف حيناً ، والمستتر حيناً آخر ، بين بعض الحركات التي تتستر بالدين ، وبين بعض الأحزاب والحركات الشيوعية ، على ما يعنيه كل واحد منهم من نقيض للآخر ؟ . . .

ما الذي جمعهم على صعيد واحد ، وفي تيار واحد لضرب القومية العربية ، والتشكيك بمنهج الاستقلال القومي ؟ .

لماذا يندفعون بهذا الحقد المسموم لتخريب الرابطة القومية التي جمعت أبناء الأمة على اختلاف مشاربهم ووحدت نضالهم ضد الصهيونية والامبريالية ؟ . . .

من الذي يقف وراء العملية المعقدة لخلط الأوراق وتشابك الخنادق ، حيث يراد تفجير الصراع بين ما يفترض انه متقارب وتحقيق الانسجام بين ما يفترض انه متناقض ؟ .

أي قوى شريرة تقف وراء محاولة اشاعة البلبلة والتيه في صفوف الشباب وبين الجماهير العربية ؟ .

وأي فائدة ستجنيها الأمة من هذا الذي يراد دفعها اليه بهذا الشكل المحموم والصاخب ؟ .

هل هذا هو الوضع الذي سيقوي الأمة في صراعها ضد الصهيونية ؟ أم انه الوضع الذي سيؤدي الى تفتيت الأمة العربية وتفجير الصراعات بين أبنائها ، ونشر تجربة لبنان على مساحات أوسع من الوطن العربي ، حتى تتمكن الصهيونية التي وصلت بمؤامراتها الى ضفاف النيل أن تبلغ بها ضفاف الفرات ؟ . . .

وهل يقوي هذا الوضع نضال الأمة العربية ضد الامبريالية ؟ أم ان الامبريالية هي التي ستستثمره لبسط سيطرتها على الاجزاء الصغيرة الناشئة عن تفتيت الأمة فيضيع الاستقلال ، وتضيع آمال الوحدة وتحرير فلسطين ، وتعود الأمة العربية الى عهد المماليك وملوك الطوائف ، وتتوزع أجزاء بين القوى الكبرى ؟ .

ولماذا يوجه سعير الحقد هكذا على العراق وعلى قيادته الوطنية والقومية الأمينة ؟ أليس في هذا الدليل على محاولة النيل من العراق هي محاولة مسمومة وحاقدة للنيل مما مثله عبر التاريخ ، ومما يمثله اليوم في الحياة العربية الجديدة ؟ .

ان العراق الذي يقوده حزب البعث العربي الاشتراكي والمناضل صدام حسين هو النموذج المتميز للاستقلال الوطني

والقومي الناجز ، نموذج الاستقلال الاقتصادي ، والاستقلال السياسي ، والارادة الحرة .

والعراق هو نموذج الحكم الوطني والقومي الذي يساوي بين أبناء الشعب دون تمييز ، فأشاع الوحدة الوطنية ، والاطمئنان والاستقرار ، ووفر ظروف البناء المزدهر للبلاد . ففي كل أنحاء العراق يتقدم كل شيء .. الزراعة .. والصناعة ... والثقافة .. والخدمات .. وترتفع معدلات التطور في كافة الميادين ، ويعيش الانسان العراقي حياة جديدة ، وتتفتح الآفاق السعيدة أمام كل مواطن .

والعراق هو القطر الساهر على المصلحة العربية ، يضحي بمصالحه من أجل قضايا الأمة في الاستقلال والسيادة وتحرير فلسطين .

وقيادة العراق هي القيادة التي أخذت على عاتقها زمام المبادرة التاريخية بالتصدي لمؤامرة كامب ديفيد وخيانة السادات ، فتحملت مسؤولية قمة بغداد وما تزال تتحمل هذه المسؤولية .

وقيادة العراق هي التي دعت من خلال هذا الرئيس صدام حسين في ٨ شباط ١٩٨٠ لحماية الأرض العربية من النفوذ الأجنبي ، ومنع اقامة القواعد العسكرية الاجنبية في الوقت الذي تجري فيه المحاولات الامبريالية المحمومة لبسط النفوذ على الأرض العربية .

وقيادة العراق هي التي دعت من خلال الاعلان الى تنظيم علاقات الأمة العربية مع جيرانها على اساس التعاون وحسن الجوار والأخوة .

هذه نماذج مما يمثله العراق اليوم . . فلمصلحة من توجه سموم الحقد ضده ؟ . . . وهل فيما يجري محاولة لانزال العقاب بالعراق بسبب ما قام به ، وما يمثله الآن في الحياة العربية ؟ .

ان الجماهير العربية تعاني من أوضاع سلبية كثيرة ، وتتكالب عليها قوى عديدة لتشويش الصورة أمامها ، وإضعاف ثقتها بنفسها ، ودفعها الى المهالك الخطرة ، ولكن هذه الجماهير التي عركتها التجارب تستطيع رغم كل محاولات خلط الأوراق وتداخل الخنادق أن تتبين طريق الخير من طريق الشر ؟ وأن تتلمس الحقيقة من الكذب ، والصدق من الافتراء .

فهـــرســـت

من الذي بدأ الصراع؟ ٥

من الذي كان وراء الحرب؟ ١٩

حرب قصيرة أم طويلة؟ ٣١

لماذا طالت الحرب. . . وإلى متى؟ ٤٥

الصراع العراقي ـ الايراني

والصراع العربي ـ الاسرائيلي ٦٣

جبهة الصمود والتصدي ٨٥

دور ايران في الصراع العربي ـ الصهيوني

في عهد الشاه وفي عهد خميني ٩٩

لكي لا تختلط الأوراق وتتداخل

الخنادق وتمر المؤامرة ١٠٧

الصـــراع
العـــراقي ـ الايـــراني

يحتوي هذا الكتيّب على مجموعة مقالات للأستاذ طارق عزيز ـ عضو مجلس قيادة الثورة ونائب رئيس الوزراء في العراق ـ كان قد نشرها في مجلة «الوطن العربي» في اعدادها الصادرة في مطلع عام ١٩٨١.

موضوع هذه المقالات الصراع العراقي ـ الايراني وقد ناقشه المؤلف مناقشة علمية موضوعية مبنية على المنطق وواقع الحال؛ وهو اذ يكتب في هذا الموضوع الدقيق فإنه يكشف أموراً كثيرة خفيت حتى على اكثر الناس اطلاعاً على أسرار الأوضاع التي قادت إلى هذا الصراع، فضلاً عن أن هذه المقالات صادرة عن رجل يتكلم من موقع المسؤولية.

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

شارع الكارلتون ـ سافيه الحبتور ـ ت ١ ـ ٨٢٩٠٠
تلفون ـ موكبالي ـ بيروت ـ ص.ب ٨٤٩٠ ـ بيروت